الطنطاوي

في الميزان

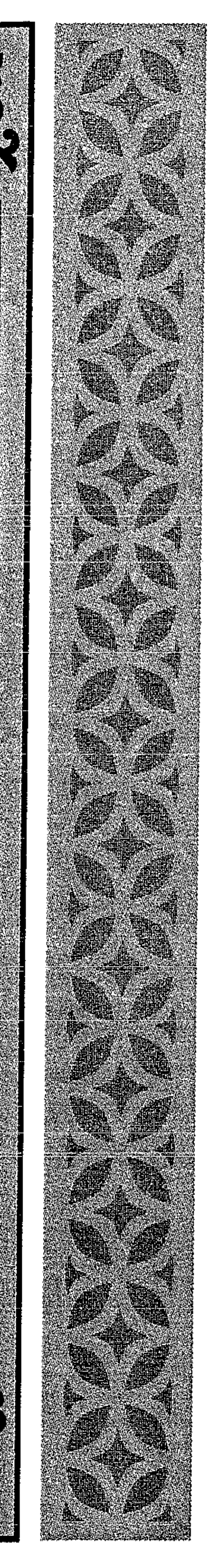
بقلم

سليمان بن صالح الخراشي

دار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ ص.ب ٦٣٧٣

ت/ ٤٧٧٥٣١١ فاكس/ ٤٧٧٤٤٣٢



المقدمة

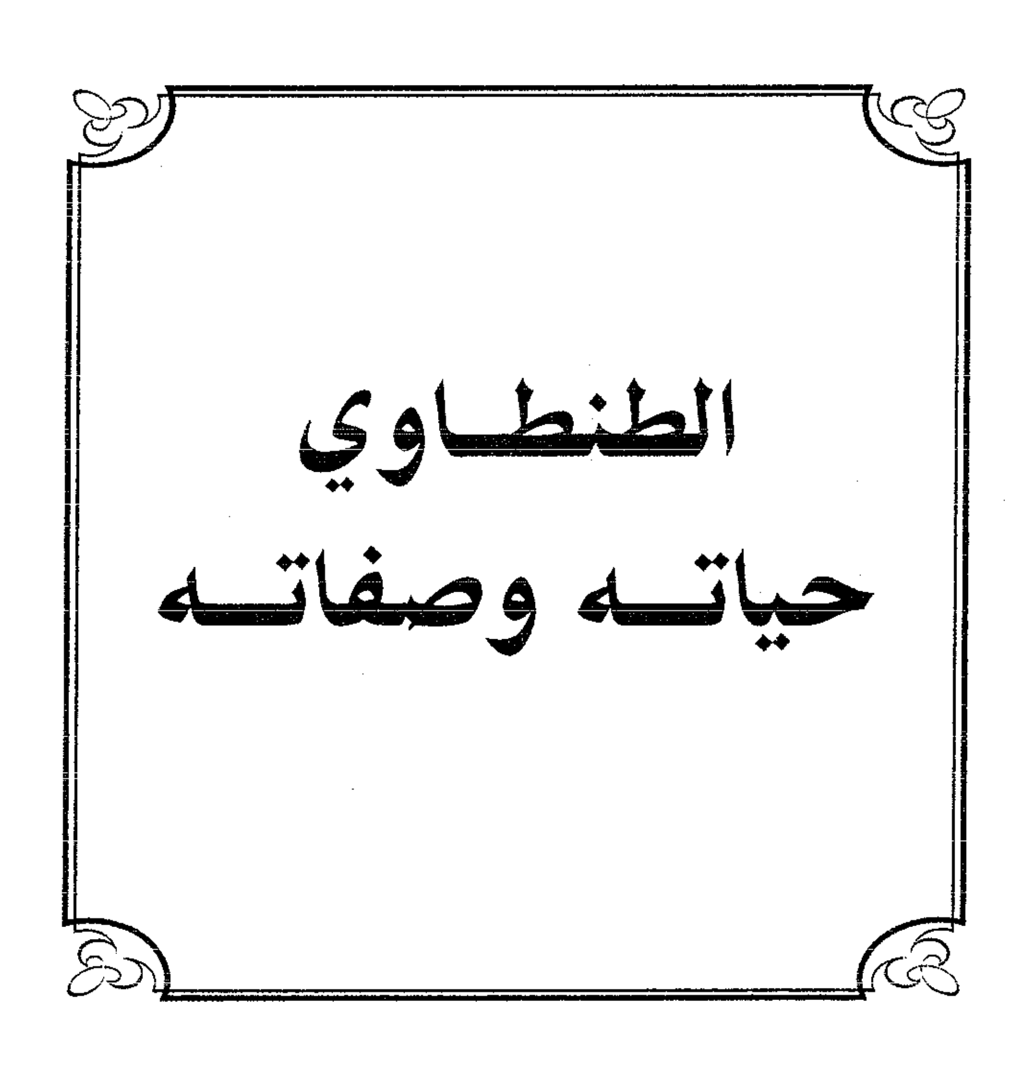
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد..

فهذه رسالة أخرى من رسائل (رجال وكتب في الميزان) قد خصصتها لعَلَم من أعلام الأُمة، جَمَعَ بين الدعوة والأدب، وكانت له جهوده ومشاركاته في نُصرة قضايا الإسلام خلال أعوام طويلة مضت تجاوزت الستين، إن لم تزد على ذلك.

هذا الشيخ قد عرفناه ونحن صغار، وأنسنا بأحاديثه الممتعة عبر الإذاعة ومن خلال الرائي، وقد ارتبط اسمه لدينا بشهر رمضان حيث كان يقدم البرامج المميزة خلال هذا الشهر الكريم، وكان يجمع في برامجه بين الإصلاح الاجتماعي والحديث الشجي الجذاب.

هذا الشيخ هو (علي الطنطاوي) الذي يعرفه الصغار والكبار في بلادنا، حيث حلَّ ضيفًا علينا منذ عشرات السنين، مستقرًا في أُم القرى، ناشرًا دعوته عبر القنوات والوسائل التي تيسرت له منذ



الطنطاوي
حياته وصفاته

الطنطاوي حياته وصفاته

قال الشيخ محمد المجذوب في ترجمته للشيخ الطنطاوي: [لقد اشتهر باسم علي الطنطاوي، وهو في السجلات الرسمية محمد علي بن مصطفى الطنطاوي، نسبة إلى طنطا التي منها وفد جده لأبيه وعمُه، وقد عُرفا بأنهما من كبار علماء الشام، وقد ترجم لوالده صاحب كتاب (الحدائق الوردية) وعرّف به الشيخان بهجة البيطار وجميل الشطي في كتابين لهما عن أعلام القرن الثالث عشر.

وكان جده لأبيه إمام طابور بالعسكر، أما والده فقد تولى أمانة الفتوى بالشام، كما تولى في بعض الفترات إدارة إحدى الثانويات الأهلية بدمشق، إلى جانب اهتمامه بعلوم الفلك والرياضيات.

وكان مولد الأستاذ في العام (١٣٢٧هـ) في بيت أبرزُ معالمه العنايةُ بالعلم وتوافُدُ طلبته عليه من كبار مشيخة دمشق.. وهو يحدث عن تلك البيئة فيقول: منذ وعيت على الدنيا وجدتني على صلة بالعلماء، وكان من عادة والدي أن يكلفني مناولته الكتاب الذي يحتاج إليه، وأراه يلقي دروسه على هؤلاء المشايخ، فأحضرها معهم سواء في البيت أو في جامع التوبة المجاور مع مواظبتي على دروس المدرسة..

حان موعد القبول للعام التالي حتى التحق بها، وطبيعي ألا تصرفه دراسة الحقوق عن أي شغل آخر، فجمع بين الدراسة والعمل..

وللأستاذ في جريدة (الأيام) تجربة غنية، إذ جمعته بخليط من المحررين يمثلون مختلف الاتجاهات الفكرية والتيارات المذهبية، من الشيوعي إلى القومي إلى الإلحادي إلى الإسلامي ـ ممثلاً في شخصية الأستاذ ـ وكلهم مبعوثون لخدمة القضية في ظل الكتلة الوطنية! مما يعطي القارىء صورة عميقة الدلالة لنوعية المبادىء التي كانت تمثلها تلك الكتلة، فلا يستغرب أن ينتهي عهد حكمها أخيرًا إلى كل الزلازل، التي أسلمت زمام البلاد إلى أعاصير الانقلابات.

وكان من الطبيعي أن يضيق المستعمر بحرية الكلمة التي تمثلها تلك الجريدة فتعطل عملها. ويعتقل رئيس تحريرها، الأستاذ عارف النكدي صاحب المميزات الرجولية العالية].

[ويقول الشيخ: لقد اتصلت بكثير من العلماء ولازمت الكثير منهم عملاً بأمر والدي، ومن هؤلاء الشيخ صالح التونسي، والد الأستاذ عبدالرحمن مدير مدارس الثغر في جدة، ولكنه لم يلبث أن هاجر من دمشق إلى المدينة، فلزمت الشيخ أبا الخير الميداني، الذي قرأت عليه من كتب النحو الشيخ خالدًا والأزهرية والقطر والشذور... إلى جانب الدروس العامة التي كنت أواظب على حضورها في الجامع الأموي، ويذكر من هؤلاء المؤثرين في ذهنيته الشيخ عبدالرحمن سلام البيروتي، فيقول: إنه أطلق من عرفت

دخلا معه في معركة جدال حادة، بلغت بهما حدَّ إغضابه، وهو المعروف بوقار العلم وسعة الصدر، والبُعد عن التعصب، حتى لم يعد لهما حجة يصح الاعتداد بها بعد أن اتضحت معالم الحق في أجلى بيان..

أحداث عصره:

وللأحداث شخصيتها وفاعليتها في النفوس وبخاصة النفوس المميَّزة برهافة الحِس وبُعد الموهبة، ولم تكن هذه الأحداث قليلة العدد والأثر في ذات الشيخ علي، وإن تفاوتت في حجمها ومدى عمقها.. فهناك مشاهد الحرب العالمية الأولى من حيث انعكاساتها على محيطه، وأثرها في تفكيره، وهو يحدثنا عن بعض هذه المشاهد فيقول: إنه كان في السادسة من سنيه عندما أطبقت تلك الفاجعة على الناس، وقد رأى من مظاهرها ما لا يستطاع نسيانه، لقد كان الباعة يتنافسون في عرض الخبز مثلاً، فما إن انطلق نذير الحرب حتى غاب منظر الخبز عن الأعين، إلا من خلال طاقة صغيرة من كل فرن، وقد ازدحم عليها الناس بانتظار نوبتهم. ويقول: رأيت الناس ينبشون المزابل ليستخرجوا من ركامها ما يضعونه في أفواههم، ورأيت الرعب يملأ القلوب من اسم جمال باشا..

وسرعان ما أيقظت هذه الصورة أشباهًا لها كانت نائمة في ذاكرتي فإذا أنا أشهد من وراء السنين أُناسًا يتسابقون للحصول على ما يستطيعون من جيفة حمار، وأسمع من صديق لي خبر ذلك

أن نخاطب الناس عقيب الصلاة من على سدّة الجامع الأموي، ولم يكن ثمة مكبرات، فكنت أنادي الناس ذات اليمين وذات الشمال: إليَّ إليَّ عباد الله، فأُسْمِع المسجد كله.. ثم تكون التظاهرات والإضرابات... وقد كان لنشاط الطلاب هذا أثره الفعال حتى لقد استطاعوا تعطيل الانتخابات المزورة أيام صبحي بركات سنة إحدى وثلاثين، وذلك بالتعاون مع الكتلة الوطنية.. وكنت أنا الفاصل بين رجال الكتلة وحركة الطلاب فلا أدعهم يتصلون بهم أبدًا، على الرغم من محاولاتهم الدائبة، وبذلك ضبطنا مسيرة الطلاب وحفظناها من المؤثرات الخارجية.

رحلته في التعليم:

والعلم هو الركيزة الأساسية في آل الطنطاوي دون استثناء، وإذن لا مندوحة من محاورة الشيخ في جانبي حياته العلمية، ولقد حدثنا عن دراسته ومصادرها النظامية والمنزلية متعلمًا، فليحدثنا الآن عن رحلته خلالها معلّمًا..

والظاهر من حديثه المسجل أنه بدأ عمله في نطاق التعليم قبل استكمال دراسته، وكان الباعث على ذلك الوضع المادي الذي واجهته الأسرة عقيب وفاة والده، فقد فَقَدَ ذلك الوالد ولما يتجاوز الصف الثامن، وفجأة وجدوا أنفسهم تلقاء أثقال من الدين اضطرتهم إلى بيع الكثير من تركته، ثم أكرهتهم على مغادرة ذلك البيت المتواضع إلى آخر صغير بائس.. ويُفهم من بعض عباراته أنه بدأ عمله في التعليم الحكومي، ثم انتقل منه إلى المدرسة

وأنور العطار وسعيد الأفغاني وحلمي اللحام، وهم الذين عُرفوا بين كبار أدباء الشام، وقد احتواهم جميعًا التعليم الابتدائي بدمشق، وذلك غاية ما يتمناه كل منهم.. بيد أن وجود الأستاذ في ذلك السلك كان ـ على حد تعبيره ـ مزعجة للمدارس التي عمل فيها، إذ كان كثير المعارضة إلى درجة قضت بنقله ثمان عشرة مرة خلال فترة قصيرة، هي سجل خدماته، حتى لم يعهد هناك مدير ابتدائية يقبل أن يعمل عنده!

ثم جاءت فترة اتصل بعدها بالكلية العلمية، وهي مدرسة أهلية، فعمل فيها مدرسًا للأدب العربي في صف الشهادة الثانوية، وأثنائذٍ ألَّف كتابه عن بشار بن برد وطُبع باسمه وبلقب (مدرس الأدب العربي في الكلية الوطنية) ويصف الشيخ اليوم ذلك الكتاب بأنه سخيف لا يرضى عنه.

إلى العــراق:

والآن نبدأ مع فضيلته شوطًا جديدًا في حلبة التعليم، وقد حدث هذا عام ١٩٣٦م يوم جاءه الشيخ بهجة الأثري يحسن له العمل في العراق، وتم الاتفاق بينهما للتدريس في الثانوية المركزية في بغداد.. بيد أن لم يلبث أن اصطدم مع أحد المفتشين المصريين هناك فكان ذلك سببًا في نقله إلى البصرة ثم حدث خلاف جديد أدّى به إلى الانسحاب من العراق، واتخذ سبيله إلى بيروت حيث عمل مدرسًا للأدب العربي في الكلية الشرعية التي صار اسمها (أزهر بيروت) ولكنه لم يستمر هناك غير سنة واحدة

أهبة العودة إلى دمشق لقضاء أيام الأجازة النصفية، ولكن شاء الله أن يؤخر سفره لحضور صلاة الجمعة، وهناك ألح عليه بعض أعيان الدير وعلمائها أن يلقي خطبتها.

يقول الشيخ: وصعدت المنبر وأنا مثل القنبلة المسدودة بقشة، وانطلقت بها خطبة فظيعة، وكان مما قلته للناس يومئذٍ: لا تخافوا الفرنسيين فإن نارهم لا تحرق ورصاصهم لا يدفع، ولو كان فيهم بقية من الخير لما وطئتهم نعال الألمان..

ولم يحتج المصلون لأكثر من هذه الإثارة، فإذا هم يتدفقون ـ عقب الصلاة ـ في تظاهرة هائلة هاجموا خلالها دار الحكومة، وحطموا كل ما أصابوا..

وطبيعي ألا تمر هذه الحادثة دون مردود، فقد سبقته أخبار الخطبة والتظاهرة إلى دمشق، وكانت النتيجة أن حيل بينه وبين العودة إلى الدير، وأُعطي أجازة مرضية. تركته في فراغ ثقيل لم يعتد مثله من قبل.. ولا ندري كم استغرق من الزمن، ولكنا نعلم من حديث الشريط أنه لم ينقطع عن التعليم إلا فترات محدودة، تولى بعدها تعليم البنات في ثانوية ابن خلدون لمدة سنتين، تركها بعدهما، ثم عاد إلى تعليم البنات كرة ثانية، ثم عمل في المعهد العربي الخاص الذي أنشأته الجماعة الإسلامية عقيب الاستقلال، ولما أُقيمت كلية الشريعة في جامعة دمشق تولى فيها تدريس فقه السيرة، ولم يتركها إلا بعد أن فتحت أبوابها لقبول الطالبات.

[ويتابع الشيخ: ثم نقلت من النبك إلى دومه، ثم انتدبت إلى القاهرة مع الأستاذ نهاد القاسم، وداومنا هناك سنة بوزارة العدل في مهمة لوضع قانون الأحوال الشخصية.. وحين عدت من تلك الرحلة انتُدبت لمحكمة دمشق مدة ثلاثة أيام لم يكن لي خلالها عمل، سوى أن أجلس بجانب عزيز أفندي الخاني.

وعزيز أفندي هذا ذو هيئة ومهابة واستقامة ونزاهة ـ رحمه الله ـ، ولكنه ليس بقاضٍ، ومعلوماته كذلك.. والرجل الذي يسيّر المحكمة هو رئيس كتابها وكانت هذه المحكمة على غاية من السوء لا يستثنى من سيئاتها سوى قاضيين نزيهين والله هما الشيخ عادل علواني والشيخ صبحي الصباغ.. وكنت أرى بعيني الرشوات وأنواع الفساد.. ولما سافر ـ الأستاذ الصباغ ـ إلى الحج قسموا الأعمال فيما بينهم، وجعلوا لي الأعمال الإدارية، وعقيب وفاة عزيز أفندي الخاني تسلّم الشيخ عادل مكانه.. غير أنه لم يلبث أن لقي مصرعه، ومع أني لم أكن قد بلغت مرتبة القاضي الممتاز فقد أسندوا إليَّ عمله، إذ لم يكن هناك سواي..

وكانت فرصة لإجراء ما أراه مناسبًا لتصحيح الأوضاع.. وأول شيء قمت به أن أتيت محاسب العدلية.. وهو رجل مسن وقلت له: عندكم في وزارة العدل مناضد خشبية أرجو تسليمي إياها مع نجار سأدفع أجره.

وبعد لأي سلمني ما طلبت، وذهبت بهذه المناضد إلى القاعة الكبيرة.. وكان أمامنا ثلاثة أيام تعطيل، وهي كافية لإنفاذ ما

الوزارة يلقي بأوراق من الأعلى، ففتحت الباب وصحت أوبخه: مالك تلقي الأوراق هكذا؟. وحانت مني التفاته إلى إحدى هذه الورقات فإذا عليها اسمي فتركت المجلس ورحت أجمعها، ثم رتبتها على صفحة مصمغة حتى انتظمت، وإذا هي قرار بنقلي مستشارًا لمحكمة النقض، فكانت مفاجأة كأخواتها من المفاجآت السابقة.. فقلت للشيخين: لقد انتهى عملي هنا..

وقد سبق للأستاذ وجيه الاسطواني أن مهد لهذا الأمر إذ قال لي: لقد جاء دورك. أفتحب أن تبقى قاضيًا ممتازًا أم تحب أن تنتقل إلى محكمة النقض؟. وهكذا تم نقلي إلى التمييز سنة ١٩٥٣م وبقيت فيها عشر سنين جئت بعدها إلى المملكة العربية السعودية في تشرين ١٩٦٣م.

إلى المملكـة:

ويقول الشيخ: لقد بدأت عملي بالرياض مدرسًا في الكليات والمعاهد التي صارت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، وقد قضيت هناك السنة الأولى: وأصبت بالآم اقتضتني إجراء جراحة في دمشق، وشعرت بضيق نفسي يحول بيني وبين متابعة العمل في الرياض.. فلمّا دعاني المرحوم الشيخ عبداللطيف ومفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم، ـ رحمهما الله ـ، إلى تجديد العقد أبديت اعتذاري وقلت لهما: والله ما أشكو شيئًا سوى أني قد ضاق صدري وأشعر أني أكاد أختنق في الرياض[1]. وهكذا أنهيت

---

(١) لماذا؟!

من هؤلاء: الشيخ بدر الدين الحسني المحدث الأكبر، وقرينه السيد محمد بن جعفر الكَتّاني صاحب «الرسالة المستطرفة»، والشيخان المعمِّران: الشيخ عبدالمحسن الأسطواني، والشيخ سليمان الجوخدار، ومفتي الشام الشيخ عطا الكسم، وخلفه المفتي الشيخ محمد شكري الأسطواني، وخلفه المفتي (الطبيب) الشيخ أبواليسر عابدين، والسيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، والشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الجامع الأزهر، والشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، وخالي محب الدين الخطيب، والشيخ أبوالخير الميداني، والشيخ صالح التونسي، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ توفيق الأيوبي، والشيخ أحمد النويلاني، والشيخ عبدالله العلمي، والشيخ هاشم الخطيب، والأستاذ سليم الجندي، والشيخ عبدالقادر المبارك، والأستاذ محمد كرد علي منشيء المجمع العلمي في دمشق، والشيخ المصنف الأديب الشيخ عبدالقادر المغربي، والأديب الراوية الأستاذ عز الدين التنوخي، والأستاذ معروف الأرناؤوط، والأستاذ شاكر الحنبلي، والأستاذ سعيد محاسن، والشيخ عبدالقادر بدران الحنبلي، والشيخ محمد الكافي المالكي، والشيخ نجيب كيوان الحنفي، والشيخ أمين سويد، والشيخ زين العابدين التونسي، والشيخ أمجد الزهاوي، والحاج حمدي الأعظمي العراقي، والشيخ قاسم القيسي، والشيخ زاهد الكوثري، والشيخ البشير الإبراهيمي الجزائري، والشيخ كامل القصاب، والشيخ عيد السفرجلاني.

ثم قرأت من المجلدات وكنت أقتصر أبدًا على الأدب القديم ثم انتقلت إلى الجديد، بدأت بالمنفلوطي الذي كان الأستاذ لنا والقدوة الذي نقتدي به في الإنشاء، وإن لم ألقه ولم نعرفه، ثم للعقاد والمازني والرافعي والزيات وحسين هيكل وصادق عنبر، وقرأت أجمل صفحات الأدب الأخرى. أما الفرنسية فأخذتها من نبعتها وقرأتها بلغتها، يوم كنت أعرفها وكنت متمكنًا منها، وإن لم أكن من المتقدمين بين رفاقي بمعرفتها.

وأما الآداب الأخرى فقرأت ما ترجم إلى العربية منها، ومن أحسن ما أفادني ما ترجم للمنفلوطي فكتبه بقلمه، وإن خرج به عن أصله، وبعضه كقطعة تأبين فولتير لفيكتور هيجو تعتبر نموذجًا كاملاً للأسلوب الخطابي، لأن هيجو كان أسلوبه خطابيًا، وكان بارعًا فيه متقنًا له، وكذلك كان المنفلوطي. وأحسب أن فيكتور هيجو لو عرف العربية، وكتب هذه القطعة بها، لما جاء بأحسن مما جاء به المنفلوطي.

أما «العبرات» التي حاول المنفلوطي أن يجعل منها قصصًا، فلولا جمال أسلوبها ما كان لها في ميزان الأدب ثقل، ذلك لأن الأم التي ترتفع حرارة ولدها، وليس عندها أحد، فلا تدري ماذا تصنع له، فيتقطع قلبها شفقة عليه وحبًا له. وصف هذه الأم أصعب بمئة مرة مما ذهب إليه المنفلوطي، وهو أن يجعل الولد يموت فتموت من حزنها عليه الأم، ويأتي الأب فيفاجأ بالخبر فيصعق فيموت ويموت الجيران، ويموت أهل الحارة، ويكون وباءً

فجُلها عبارة عن قصص أو مقالات اجتماعية يصوغها صياغة أدبية جميلة تستهوي القراء، ولا تكاد تجد له كتابًا علميًا واحدًا سوى (تعريف عام بدين الإسلام) على ما فيه من ملاحظات كما سيأتي.

فالشيخ قد علقت نفسه بالأدب الذي أكثر منه عندما كانت نفسه خالية، فلم يعد يستطيع الإفلات منه في كتاباته، فلذا تصعب عليه الكتابات العلمية والفقهية مثلاً، التي تحتاج إلى دقةٍ في العبارة، وعمق في البحث، لا تطرب لها نفس الشيخ.

ويقول الشيخ عن شدة مطالعته للكتب:

[لقد قرأت قبل (مكتب عنبر) وفي سنواتي الأولى فيه كتبًا لا أكون مبالغًا، ولا مدعيًا مغرورًا، إن قلت إن في الأساتذة اليوم من لم يقرأها. ذلك أني كنت أمضي وقتي كله، إلا ساعات المدرسة، في الدار. لم أتخذ لي يومًا رفيقًا من لداتي، ولا صديقًا من أقراني، ولم أكن (بحكم تربيتي ووضع أسرتي) أعرف الطريق إلى شيء من اللهو الذي كان يلهو بمثله أمثالي، فلم يكن أمامي عمل أنفق فيه فضل وقتي، وأشغل به نفسي، إلا المطالعة][1].

ويقول: [أنا اقرأ كل يوم مهما أقللت ومهما كنت مشغولاً أكثر من مئتي صفحة].

ولكن للأسف هي كما قال الشيخ:

[أكثرها مما لا يفيد علمًا، ولا يُعلم أدبًا، ولا يُقوِّم خُلُقًا،

---

(١) ذكريات الطنطاوي (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

الذي يستوجب الوضوء إن كان صغيرًا! والغُسل إن كان (حدثًا أكبر)! على أن من شعر الحداثة ما لا تذهب بأوضاره، ولا تطهر صاحبه منه، شلالات «نياغرا» لو وقف تحتها واغتسل بها!!!][1].

كتب الشيخ:

يقول الشيخ: [ولقد ذكرت في مقدمة الطبعة السابقة أني أكتب من ستين سنة (من سنة ١٣٤٧هـ)، والمطبوع مما كتبتُ يزيد على ثلاثة عشر ألف صفحة، وأن لي أكثر من خمسين كتابًا ما بين رسالة صغيرة وكتاب كبير، وأني أحاضر في النوادي من سنة (١٣٤٥هـ)، وأتحدث في الإذاعات بلا انقطاع من يوم أُنشئت محطة الشرق الأدنى في يافا، قبل الحرب الثانية، وأن لديّ الآن أصول أحد عشر كتابًا لا تحتاج إلاّ إلى عمل قليل لتُقدَّم للمطبعة][2].

ويقـــول:

[عندماترون في كتب التراجم أن فلانًا من العلماء له مئة مصنف ومئتان وأكثر، تذكروا أنهم كانوا يعدّون الرسالة الصغيرة التي تكون في ورقات مع الكتاب الذي يبلغ ألفًا أو آلافًا من الصفحات، يجمعون ذلك كله في رقم واحد. فإن أنا قست ما صدر لي بهذا المقياس جاوزت مصنفاتي (جاوزت كثيرًا) المئة.. الكتب منها (التي تسمى كتبًا لا رسائل) أكثر من ثلاثين.

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٨٦).

(٢) تعريف عام بدين الإسلام، ص١٠، ١١.

من لغة).
٥ ـ أبوبكر الصديق.
٦ ـ أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر.
٧ ـ مـع النـــاس.
٨ ـ الجامع الأموي في دمشق.
٩ ـ رجال من التاريخ.
١٠ ـ قصص من التاريخ.
١١ ـ هتـــاف المجـــد.
١٢ ـ في سبيل الإصلاح.
١٣ ـ صـــور وخواطـــر.
١٤ ـ دمشق، (صور من جمالها . . . وعبر من نضالها).
١٥ ـ فكـــر ومباحـــث.
١٦ ـ بغداد، (مشاهدات وذكريات).
١٧ ـ قصص من الحياة.
١٨ ـ من حديث النفس.
١٩ ـ فصـول إسـلامية.
٢٠ ـ مقالات في كلمات.
٢١ ـ في أندونيسيا، (صور من الشرق).
٢٢ ـ من نفحات الحرم.
٢٣ ـ صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي، تحقيق الطنطاويين.
٢٤ ـ حكايات من التاريخ (١ ـ ٧).
١ ـ جابر عثرات الكرام.

٣٦ ـ موقفنا من الحضارة الغربية.
٣٧ ـ تعريف موجز بدين الإسلام.
٣٨ ـ المثل الأعلى للشباب المسلم.
٣٩ ـ محمد بن عبدالوهاب (١ ـ ٢).

وله مئات من البحوث والمقالات في عشرات من الصحف والمجلات.

إنكاره للمنكر:

للشيخ جهوده المشكورة في إنكار المنكر في بلاد (الشام)، فقد ذكر لنا في ذكرياته شيئًا من تلك المواقف الحسَنة التي وقفها في وجه أهل الباطل، من أنصار تحرير المرأة أو نحوهم، ممن كانت تعج بهم البلاد الإسلامية ذاك الزمان.

يقول الشيخ:

[وأنا من عادتي إذا سمعت بمنكر أو رأيته، أدخله ذهني كما تدخل المعلومات في المحساب (الكمبيوتر)، فأنام عنه كما أنام كل ليلة كأنَّ شيئًا لم يَلِج فكري، فإذا كان قبل موعد قيامي لصلاة الفجر، استيقظت من نومي فوجدت الفكرة قد ملأت نفسي، وغلبت على فكري، وتملكت أعصابي، فأتحمس لها، وأعد في ذهني ما أكتبه أو أقوله عنها، ويطير النوم من عيني فألبث متيقظًا أترقب طلوع النهار][1].

(١) ذكريات الطنطاوي (٥/ ١٠٥).

ويقــول:

[كنت أمنع النساء السافرات من دخول المحكمة، فوجدت يومًا في مقاعد المحامين امرأة سافرة مكشوفة الشعر، بادية النحر وأعالي الصدر. فقلت لها: أما يكفيك أنك خالفت الشرع فتكشفت، وأمر المحكمة ألا تدخلي فدخلت، ثم لم يسعك إلا أن قعدت في مقاعد المحامين؟ قالت: إنني محامية وأبرزت بطاقتها. فلما قرأت اسمها وجدت أنها شقيقة أحد أصدقائي القدماء، من الأدباء المعروفين، والوزراء الذين ولوا الوزارة مرات كثيرة، جاءت للوكالة عن أخت زميل قديم لنا، كنا معًا ندرس في مدرسة واحدة، فاختلف طريقانا، فسلك هو طريقًا غير طريقي، وأسس حزبًا كبر ونما حتى صار له الحكم في الشام وفي العراق][١].

ويقول في منكر آخر أنكره:

[اللهم لقد بلغت. اللهم لقد أنكرت المنكر. اللهم لا تنزل علينا لعنتك، ولا تحلل بنا غضبك][٢].

رجوعه عن الخطأ سهل:

يقول الشيخ:

[قد قلت مئة مرة أن رجوعي عن الخطأ واعترافي به أهون عليَّ من شرب الماء][٣].

---

(١) المصدر السابق (٧/ ١٠).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٥٤).

(٣) فتاوى الطنطاوي، ص١٣١.

دعاباته:

تَميَّز الشيخ في كتاباته بكثير من الدعابة التي تظهر من خلال المواقف التي يتعرض لها، ثم يكتبها بطريقة مضحكة جذابة، فمن ذلك: قوله في ذكرياته:

[نهض الأمير ومشى إلينا يستقبلنا، وما فرغنا من السلام عليه، ومن أخذ مقاعدنا حتى قال بصوت منخفض: قهوة؟

وكنت قد لحظت (وأنا أدخل) الرجال أي الخويان (جمع خوي) واقفين في رحبة الدار، وعلى السلم، وأمام الغرفة وعلى بابها.

فما قال الأمير: (قهوة) حتى صاح الذي على الباب (قهوة)، فقال الذي في الدرج (قهوة)، وكرر الذي يليه (قهوة) حتى وصل الصوت إلى صانع القهوة ولست أدري أين كان.

سمعنا خمسًا وخمسين قهوة، قهوة، هوة، هوة، وه، وه..... تخرج متعاقبة متلاحقة، كأنها طلقات مدفع رشاش، خرجت كلها في ثلاث وأربعين ثانية فارتعبنا ولم نعرف ما الحكاية وفعلت المفاجأة بنا فعلها، فمنا من أسرع يطلب الباب، يريد الفرار، ومنا من صرخ، ومنا من سقط على الأرض، ومنا من وضع يده على سلاحه...

والأمير يضحك، قد راقته هذه الدعابة، ونظر إليَّ

قلت: إنني لا أمزح، ولكني أقول الجد، وقصصت عليه القصة.

قال: وماذا نعمل. قلت: لوحات صغيرة مثلاً من النحاس، أو من الفضة، توضع على الصدر يكتب عليها «رجل» أو «امرأة». تعلق تحت الثدي الأيسر، في مكان القلب. أو تتخذ حلية من الذهب أو الفضة، عليها صورة ديك مثلاً أو دجاجة، أو شاة أو خروف، أو شيء آخر من علامات التذكير والتأنيث][١]!!

ومن ذلك قوله:

[وخرجنا من القصر ونحن نحس كأننا قد خرجنا من أنفسنا، وانتقلنا من العالم الشعري الساحر إلى عالم الحقيقة الوعر البارد.

مررنا على جُبٍّ واسع للماء خبرنا من معنا أن بعض الجاهلين من الأدلاء والتراجمة يدعون بأنه سجن ويختلقون عنه الأكاذيب.

وهؤلاء الأدلاء والتراجمة بلاء أزرق، يفسدون تاريخنا، ويشوهون ماضينا.

في جامع بني أمية منارة يسميها الناس مئذنة عيسى. سمعت مرة أحد هؤلاء التراجمة يقول بالفرنسية لبعض السياح: «هذه المنارة هي التي بناها الوليد بن هارون الرشيد ليسوع» ولذلك سميت منارة عيسى، وهؤلاء السياح يكتبون في دفاترهم ما يقول

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٦٥).

ومنزلة وأثرًا صالحًا، ـ رحمه الله ـ][(١)].

ويقول عن سيد قطب:

[كنت باديء الرأي في صف وكان في صف، كنا في صف الرافعي وهو أقرب إلى الجهة الإسلامية، وكان في صف العقاد قبل أن يؤلف العقاد كتبه الإسلامية. ثم اقترب منا بكتابه «التصوير الفني» ثم أعطاه الله ما أرجو أن أُعطى نصفه أو ربعه أو عُشره، فعلا عليّ وسبقني، وصنع ما لم أصنع مثله حين ألَّف «الظلال»، ثم أعطاه الله النعمة الكبرى التي طالما تمنيتها ولم أعمل لها:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تمشي على اليبس][(٢)]

ويقـــول:

[اجتمعنا أولاً في دار الإفتاء، وكانت في طريق الصالحية تحت الجسر الأبيض، واتفقوا على أن يفتتح الكلام المفتي ثم أتولى أنا شرح الأمر، وهذه إحدى المرات التي شرفني فيها العلماء بأن أتكلم عنهم، وأنطق بلسانهم، وإن كنت أقلهم علمًا، وأدناهم منزلة][(٣)].

ويقـــول:

[ثابرت على ما كنت فيه من الكتابة في الصحف اليومية، والمشاركة في أحداث البلد، والخطابة في المجامع وفي المساجد،

---

(١) المصدر السابق (٥/ ١٣٢).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٤٢).
(٣) المصدر السابق (٥/ ٢٩٥).

ولا بين الخيبة والنجاح، فأنا كغيري من الناس، أحب أن أمدح وأن أنجح وأن أكون الذي تتوجه إليه الأنظار، وتشير إليه الأيدي، ولكن الأيام علمتني أن هذا كله مؤقت: تمثال من الثلج كالذي يصنعه الأولاد في البلاد الباردة. تمثال جميل ولكنه يعيش ريثما تطلع عليه الشمس وتحمى، فإذا هو يسيل ماء يختلط بتراب الأرض فيصير وحلاً][(١)].

ويقـــول:

[إني من ستين سنة، أعلم وأكتب وأخطب وأحدث، اللهم لا أدعي أن ذلك كله، كان خالصًا لوجهك، وليته كان، ولكني بشر أطلب ما يطلبه البشر، من المال الحلال، ويسرني المديح، وتستهويني متع الدنيا، فهل يضيع لذلك جهدي كله؟ هل أخرج فارغ اليدين لم أنل شيئًا من الثواب؟ إني لأمتحن نفسي، أسائلها كل يوم، هل كانت الدنيا وحدها همي؟ لو عرض عليَّ أضعاف ما آخذه الآن على مقالاتي وكتبي وأحاديثي، على أن أجعلها كتبًا ومقالات وأحاديث في الدعوة إلى الكفر هل كنت أرضى؟ فليست إذن كلها للدنيا، كما إنها ليست مبرأة من مطالب الدنيا.

قلت لكم إني أفكر في الموت، وأعرف أني على عتباته، إنه يمكن أن أعيش عشرين سنة أخرى كما عاش بعض مشايخي، وكما يعيش اليوم ناس من معارفي، ولكن هل ينجيني ذلك من الموت؟ فما الذي أعددته للقاء ربي، اللهم إني ما أعددت إلا توحيدًا

---

(١) ذكريات الطنطاوي (٤/ ٧٤).

جميلاً، فلست قبيحًا. وأحسب أنني لو فتحت لها الطريق لالتقينا على ما لا يرضي الله][1].

نباهتـــه :

يأخذ الشيخ الطنطاوي على بعض علماء الإسلام غفلتهم عن مكر الأعداء، وإحسانهم الظن بكل أحد، فيقول:

[ولقد خُدع أكثر من ذهب إلى روسيا من العلماء والمشايخ، حتى شيخنا الشيخ بهجة. وكانت لي دروس ليلة في مسجد الجامعة في دمشق، وكنت أتكلم ليلة عن الشيوعية، فدخل شيخنا الشيخ بهجة. ففرحت، وقلت له: تفضل يا سيدي أهلاً وسهلاً. حدّثهم عما رأيت في روسيا.

فكان مما قاله: إنه لم ير عورة بادية، ولا ذراعًا عارية، ما رأى إلاّ الحجاب السابغ، فتألمت: ووجدت أنه ـ غفر الله له ـ سيهدم عليّ ما بنيت، وينقض ما أبرمت، فسألته لأنبه الشباب السامعين: وكم هي درجة الحرارة هناك يا سيدي؟ فقال: عشرون تحت الصفر. فأفهمتهم أن هذا الحجاب للخوف من البرد لا للحرص على الفضيلة.

وفي كثير من مشايخنا الكبار مثل هذا البعد عن المكر، حتى أن الواحد منهم يُمكر به فلا يشعر مع أن عمر كان يقول: «لست بالخِبّ، ولكن الخب لا يخدعني»، من ذلك أنه لما كان الحاج

---

(١) المصدر السابق (٤/٦٨، ٦٩).



عقيدة الطنطاوي

عقيدة الطنطاوي

يعد كتاب «تعريف عام بدين الإسلام» للشيخ علي الطنطاوي نافذتنا التي نُطل منها على عقيدة الشيخ التي كتبها بخط يده بخلاف كتبه الأخرى التي تميل إلى الإنشاء والأدب أكثر من تقرير الحقائق وشرحها[١].

وقد ذكر الشيخ في مقدمة هذا الكتاب الباعث له على تأليفه أو كما يقول: [قصة هذا الكتاب].

يقول الشيخ: [تنبهت مبكرًا إلى ضرورة عرض الإسلام بأسلوب عصري، وكتبت في ذلك مقالات، ونشرت رسائل، ذكرت منها من نحو خمسين سنة بعض الآراء التي أوردها اليوم في هذا الكتاب][٢].

وسنعرف قريبًا معنى (عرض الإسلام بأسلوب عصري) عندما نفرغ من المرور على مباحث هذا الكتاب والتعليق على ما يستحق التعليق منها.

يقول الشيخ عن كتابه:

[كنت أنزل في ضاحية من عمان: مكتبتي في دمشق، وأوراقي في مكة، وما عندي إلا المصحف وما استقرّ في ذهني مما

---

(١) وللشيخ إسماعيل الأنصاري ـ رحمه الله ـ ردٌ على هذا الكتاب على صفحات مجلة الدعوة (تاريخ ١٣٩١/٩/٢٦هـ).

(٢) تعريف عام بدين الإسلام، ص٥.

تركها فقد كفر»[١].

ولقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر تركُ الصلاة**»[٢].

ولقول عبدالله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[٣].

وأدلة هذه المسألة مبسوطة في كتب كثيرة[٤] فالشيخ في هذه المسألة اختار الرأي المرجوح وترك الراجح.

المبحث الثاني: بعنوان «تعريفـات» ذكر فيه الشيخ معنى عددٍ من المصطلحات التي تتكرر في هذا الكتاب كـ (العقيدة) و(الشك) و(الظن) و(العلم).

المبحث الثالث: بعنوان «قواعد العقائد» ذكر فيه الشيخ عدة قواعد منطقية ممهدة قبل الدخول في تفاصيل الكتاب، أو تفاصيل العقيدة، وهذه القواعد هي:

١ ـ أن الحواس قد تخطيء وتخدع أحيانًا في مسائل معدودة، وهذا لا يمنعني من الاعتماد عليها.

٢ ـ أننا نوقن بوجود أشياء ما شاهدناها كوجود بلد اسمه البرازيل

---

(١) أخرجه النسائي (١/ ٢٣١) والترمذي (٧/ ٣٦٨ تحفة).
(٢) أخرجه مسلم (١/ ٨٨).
(٣) أخرجه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٤).
(٤) منها: كتاب الصلاة لابن القيم، وحكم تارك الصلاة لابن عثيمين، و«الإنباه إلى حكم تارك الصلاة» للأخ عبدالله بن مانع.

عقائدهم، وكُلِّف بحربهم، كانوا إذا سئلوا عنه اعترفوا به ولم ينكروه.

بل إن إبليس ـ وهو شر الخلق ـ ما أنكر أن الله ربه، تنبهت إلى هذا من قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي . . .﴾(١)، وقوله: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ . . .﴾(٢) فهو مُقِر بأن الله ربه!](٣).

قلت: أجاد الشيخ في هذا، لأنه لابد بعد الاعتراف بتوحيد الربوبية أن تقر وتعمل بتوحيد الألوهية، وهو أن لا تعبد إلا الله وحده لا شريك له.

المبحث الخامس: بعنوان «توحيد الألوهية» قرر فيه الشيخ أن لا تُصرف العبادة إلا لله وحده، وأن الله هو النافع الضار وحده.

يقول الشيخ رادًا على القبوريين:

[إن جئت قبر الطبيب بعد موته، فدعوته وهو لا يقدر أن يفحص المريض، وأن يصف الدواء، كانت استعانة ممنوعة. وإن عجز العلم ولم ينفع الدواء، فتوسلت إلى الشفاء بالدعاء، أو بالصدقة، أو طلبت من رجل صالح أن يدعو لك، كانت هذه استعانة مشروعة. وإن وقفت على قبر الرجل الصالح، فاستعنت به وهو لا يملك تحريك لسانه بالدعاء لك، ولا يقدر من عند نفسه على شفاء مريضك، كانت هذه استعانة ممنوعة.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٩.

(٣) تعريف عام بدين الإسلام، ص٦١.

أو الألوهية، لاسيما وهي من أهم المسائل التي خالف فيها أهل البدع على شتى أنواعهم، فكان الأولى بالشيخ توضيح هذه المسألة المهمة لشباب الأمة وإبراز منهج أهل السنة فيها لكي لا يضل فيها أحد من قرّاء الكتاب، ولكي نعبد الله حق عبادته بعد معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العُلى اللائقة بجلاله.

يقول الشيخ:

[لقد اجتنبت في هذا الكتاب الخوض في المسائل الكلامية، وأعرضت عن سرد اختلافات المتكلمين، ولكن مسألة (آيات الصفات) قد طال فيها المقال، وكثر الجدال، ولابد من بعض البسط للكلام فيها][(١)].

قلت: لا أدري لماذا يعد الشيخ مسألة (صفات الله) من المسائل الكلامية التي ينبغي عدم الخوض فيها؟ مع أن القرآن والسُّنَّة قد تحدثا عنها بكل وضوح، وبيناها للناس أشد البيان، وآمن بها الصحابة والتابعون قبل خوض الخائضين فيها، وابتداع المبتدعين، فكان الأولى بالشيخ وهو يقرر العقيدة لشباب الأمة أن يبين منهج السلف الصالح فيها دون تهيب أو وجل ودون أن يبالغ في تصوير هذه المسألة وكأنها من المشكلات التي لا تُفهم. وأما مذاهب المبتدعة فيها فينبغي أن تُطرح ولا تُبسط ولا يُتعرض لها، لأنه لا فائدة للشباب من القيل والقال، وعرض الشبه ونقضها.

---

(١) المصدر السابق، ص٧١.

الحقيقة الأولى: أننا نعرف معاني صفات الله (جميعها) لأن الله أنزل القرآن بلسانٍ عربي مبين، وأَمَرَنا بتدبر ما فيه.

الحقيقة الثانية: أن هذه الصفات التي عرفنا (معانيها) لا نستطيع أن نعرف (كيفيتها) بالنسبة لله، لأنه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ثم ذكر الشيخ بعد هذا أن السلفيين وأهل التأويل متفقون على نفي التعطيل والتشبيه عن الله، ولكنهم اختلفوا في تأويل هذه الصفات كما هو منهج الخَلَف، أو عدم تأويلها كما هو منهج السلف.

ثم نفاجأ بأنه ينصر مذهبًا ثالثًا هو شرٌ من مذهب أهل التأويل، ألا وهو مذهب (التفويض!).

يقول الشيخ:

[ولقد نظرت فوجدت أن هذه الآيات على ثلاثة أشكال:

١ ـ آيات وردت على سبيل الإخبار من الله، كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1]. فنحن لا نقول: إنه ما استوى، فنكون قد نفينا ما أثبته الله. ولا نقول: إنه استوى على العرش كما يستوي القاعد على الكرسي، فنكون قد شَبَّهْنَا الخالق بالمخلوق، ولكن نؤمن بأن هذا هو كلام الله، وأن لله مرادًا منه لم نفهم حقيقته وتفصيله، لأنه لم يبين لنا مفصلاً، ولأن

(١) سورة طه، الآية: ٥.

العُلى، ففي هذه الآية ردٌّ على المشبِّهة وعلى المؤوِّلة أو المعطِّلة.

٣ـ المذهب الثالث: الذي اختاره الشيخ هو مذهب أهل التفويض، وأهل هذا المذهب لما رأوا الصراع بين الحق وهو مذهب السلف، وبين الباطل وهو مذهب أهل التأويل لجأوا إلى مذهب ثالث مبتدَع يزعمون أنه الحق في هذه المسألة، وأنه يغنيهم عن الدخول في إشكالات الخلافات بين المذهبين السابقين.

فقالوا: بأن هذه الصفات لله الواردة في القرآن وفي السُّنَّة الصحيحة نحن لا نتأولها كما فعل الفريق الأول، ولا نؤمن بمعانيها كما فعل الفريق الثاني، بل نفوِّض معانيها وكيفيتها إلى الله ـ عز وجل ـ الذي أخبر بها، فنؤمن بها أسماء مجردة بلا معاني! فلا فرق عندنا بين قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾[2]! فكلاهما لا نعرف معناها، وهكذا سائر الصفات لا يعلم (معناها) إلا الله، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3].

قلت: هذا ما قاله أصحاب هذا المذهب الباطل الذي ظنَّ كثير من المتأخرين (لاسيما الأشاعرة) أنه هو مذهب السلف

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه».

قال: «ومعلوم أن هذا قدح في القرآن، والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدىً وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبيِّن للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكل شيء وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر، ونهى، ووعد، وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يُعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بيَّن للناس ما نزل إليهم، ولا بلّغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُستدل به، فيبقى هذا الكلام سدًّا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، **فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد»**][1].

---

(١) نقلاً عن «تقريب التدمرية» للشيخ ابن عثيمين، ص٨٢، ٨٣.

والثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

فنتج من هذين الأصلين، استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم، وأنهم كانوا يقرؤون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أُريد به.

ولازم قولهم: أن رسول الله ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه][1].

وقال الشيخ ابن باز ـ حفظه الله ـ:

[ليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات إلى علام الغيوب، لأنه ـ سبحانه ـ بيّنها لعباده وأوضحها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ ولم يبيِّن كيفيتها، فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني، وليس التفويض مذهب السلف بل هو مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح. وقد أنكر الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وغيره من أئمة السلف على أهل التفويض، وبدّعوهم لأن مقتضى مذهبهم أن الله ـ سبحانه ـ خاطب عباده بما لا يفهمون معناه ولا يعقلون مراده منه، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتقدس عن ذلك، وأهل السُّنَّة والجماعة يعرفون مراده ـ سبحانه ـ بكلامه ويصفونه بمقتضى أسمائه وصفاته وينزهونه عن كل ما لا يليق به ـ عز وجل ـ. وقد علموا من كلامه ـ سبحانه ـ ومن كلام رسوله

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ٨١ ـ ٨٢).

إذا كان الباعث على ذلك خوف الوقوع في التشبيه والتجسيم فقد كفانا الله ذلك الخطر بنفي مشابهته لخلقه في أي شيء، فنحن نؤمن بكل ما صح عنه وعن رسوله في صفاته مع كمال تنزيهه عن المشابهة. . فيَده وقدمه وعينه مثلاً كعلمه وقدرته وحكمته، نثبتها كلها على الوجه اللائق بكماله ـ سبحانه ـ. فكما أن علمه لا يشبهه علم الإنسان، وقدرتُه وحكمته لا مجال للمشابهة بينهما وبين هاتين الصفتين في مخلوقاته، كذلك الأمر في القدم واليد والعين، لا تشبهها قدم، وعين لا تناظرها عين، ويد لا تقاس بها يد][1].

قلت: لا أدري أي المذهبين استقر عليه الشيخ آخر عمره! فلعله كما انتقل النقلة الأولى من التفويض إلى التأويل ينتقل نقلةً أخرى من التأويل إلى المذهب السلفي الحق، لاسيما وهو القائل: [قد قلت مئة مرة أن رجوعي عن الخطأ واعترافي به أهون عليَّ من شرب الماء][2].

بعد هذا قال الشيخ متابعًا تقسيمه لأنواع آيات صفات الله بأن منها:

[٢ ـ آيات وردت على الأسلوب المعروف عند علماء البلاغة بالمشاكلة][3].

---

(١) «ردود ومناقشات»، ص٩٣، ٩٤.
(٢) فتاوى الطنطاوي، ص١٣١.
(٣) تعريف عام بدين الإسلام، ص٧٣.

﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ ﴾[١] من المشاكلة.

وقالوا: إن الرضى الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾[٢] من المشاكلة.

إلى غير ذلك مما ذكروه، ونفوا من أجله حقيقة ما وصف الله به نفسه من ذلك][٣].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

[لا ريب أن هذه المعاني يُذَم بها كثيرًا فيقال: فلان صاحب مكر وخداع وكيد واستهزاء، ولا تكاد تُطلق على سبيل المدح بخلاف أضدادها، وهذا هو الذي غرَّ من جعلها مجازًا في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيب وذَم، والصواب أن معانيها تنقسم إلى محمود ومذموم، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب، فما يذم منها إنما يذم لكونه متضمنًا للكذب أو الظلم أو لهما جميعًا. وهذا هو الذي ذمَّه الله تعالى لأهله كما في قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾[٤]، فإنه ذكر هذا عقيب قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾[٥]، فكان هذا القول منهم كذبًا وظلمًا في حق التوحيد والإيمان بالرسول واتباعه، وكذلك قوله: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ

---

(١) سورة الطارق، الآية: ١٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٩.
(٣) الجواب المختار لهداية المحتار، ص٢٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٨.

هذا من أعدل الكيد فإن إخوته فعلوا به مثل ذلك، حتى فرّقوا بينه وبين أبيه وادَّعوا أن الذئب أكله ففرق بينهم وبين أخيهم بإظهار أنه سرق الصواع، ولم يكن ظالمًا لهم بذلك الكيد، حيث كان مقابلة ومجازاة، ولم يكن أيضًا ظلمًا لأخيه الذي لم يكده بل كان إحسانًا إليه وإكرامًا له في الباطن وإن كان طريق ذلك مستهجنة، لكن لما ظهر بالآخرة براءته ونزاهته مما قذفه به وكان ذلك سببًا إلى اتصاله بيوسف واختصاصه به لم يكن في ذلك ضرر عليه، يبقى أن يقال: وقد تضمن هذا الكيد إيذاء أبيه وتعريضه لألم الحزن على حزنه السابق، فأي مصلحة كانت ليعقوب في ذلك؟ فيقال: هذا من امتحان الله تعالى له، ويوسف إنما فعل ذلك بالوحي، والله تعالى لما أراد كرامته كمل له مرتبة المحنة والبلوى ليصبر فينال الدرجة التي لا يصل إليها إلا على حسب الابتلاء، ولو لم يكن في ذلك إلا تكميل فرحه وسروره باجتماع شمله بحبيبه بعد الفراق، وهذا من كمال إحسان الرب تعالى أن يذيق عبده مرارة الكسر قبل حلاوة الجبر، ويعرفه قدر نعمته عليه بأن يبتليه بضدها كما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لما أراد أن يكمل لآدم نعيم الجنة أذاقه مرارة خروجه منها ومقاساة هذه الدار الممزوج رخاؤها بشدتها، فما كسر عبده المؤمن إلا ليجبره، ولا منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا أماته إلا ليحييه ولا نغَّص عليه الدنيا إلا ليرغبه في الآخرة، ولا ابتلاه بجفاء الناس إلا ليرده إليه. فعلم أنه لا يجوز ذم هذه الأفعال على الإطلاق كما لا تمدح على الإطلاق، والمكر والكيد والخداع لا يذم من جهة العلم ولا من جهة القدرة، فإن العلم والقدرة من

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[١].

تدل على المراد منها آية:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[٢].

ويُفهم منها أن بسط اليد يراد به الكرم والجود، ولا يستلزم ذلك (بل يستحيل) أن يكون لله تعالى يدان كأيدي الناس والحيوان، تعالى الله عن ذلك][٣].

قلت: هنا تأول الشيخ صفة اليد لله ـ عز وجل ـ، وأنها كناية عن الكرم والجود! فمرةً يفوِّض ومرةً يُؤَول دون أي ضابط أو قاعدة يسير عليها.

والصواب في هذه الصفة وغيرها من الصفات: إثبات معناها في حق الله ـ عز وجل ـ كما يليق بجلاله، ولم يقل أحدٌ من السلف بأنها يد كأيدي المخلوقين، وإنما هذا ما وقر في ذهن الشيخ وغيره من المؤولة أداهم إلى تأويل الصفات، فهم قد شبهوا أولاً ثم أوّلوا آخرًا.

وصفة اليد قد دلت عليها آيات كثيرة لم يذكرها الشيخ وإنما اكتفى لغرضٍ في نفسه بالآية السابقة! من أصرح تلك الآيات قوله تعالى مخاطبًا إبليس ﴿ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[٤] فهذه

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.
(٣) تعريف عام بدين الإسلام، ص.
(٤) سورة ص، الآية: ٧٥.

الطنطاوي يرى أن آيات الصفات من المتشابه:

بعد هذا أخطأ الشيخ خطأً عظيمًا عندما جعل آيات الصفات من قبيل المتشابه [التي لا يضِحُ(١) المعنى المراد منها](٢) وهذا كما علمنا خطأ شنيع، فإن أيًّا من السلف لم يجعل آيات الصفات من قبيل المتشابه، وإنما فسروها وعلموا معناها ولكنهم لم يتعرضوا لكيفيتها وهذا معنى قولهم: (أمروها كما جاءت) أي لا تتأولوها، وكما قال مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول)؛ فمعنى الصفة مما نعلمه، وليس هو من المتشابه، وأما كيفية الصفة فهو مما استأثر الله بعلمه.

قال شيخ الإسلام:

[من قال: إن هذا(٣) من المتشابه وأنه لا يُفْهم معناه، فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك فإني ما أعلم عن أحدٍ من سلف الأمة ولا من الأئمة ـ لا أحمد بن حنبل ولا غيره ـ أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه. وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يُفهم. ولا قالوا: إن الله ينزل كلامًا لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معانٍ صحيحة. قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت. ونهوا عن تأويلات الجهمية وردُّوها وأبطلوها التي

---

(١) يضح هو الفعل المضارع لوَضَحَ، أفاده الشيخ.
(٢) تعريف عام بدين الإسلام، ص٧٥.
(٣) أي آيات الصفات.

فإن قلت: هذا في الجميع كان هذا عنادًا ظاهرًا وجحدًا لما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام بل كفر صريح. فإنا نفهم من قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] معنى، ونفهم من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢] معنى ليس هو الأول، ونفهم من قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣] معنى، ونفهم من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾[٤] معنى. وصبيان المسلمين بل وكل عاقل يفهم هذا][٥].

قال: [ثم يقال لهذا المعاند: فهل هذه الأسماء دالة على الإله المعبود وعلى حق موجود أم لا؟ فإن قال: لا، كان معطلاً محضًا، وما أعلم مسلمًا يقول هذا. وإن قال: نعم، قيل له: فلم فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم تفهم دلالتها على ما فيها من المعاني من الرحمة والعلم وكلاهما في الدلالة سواء؟][٦].

قلت: وبهذا البيان نعلم خطأ قول الشيخ في هذه الصفات بأن المسلمين وسلف الأمة [لم يتكلموا فيها، **ولم يقولوا إنها حقيقة**، ولم يقولوا إنها مجاز، ولم يخوضوا في شرحها، **بل آمنوا بها كما جاءت من عند الله على مراد الله**]!!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٧.
(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٧).
(٦) المصدر السابق (١٣/ ٢٩٨).

ارتباط الإيمان بالعمل، وأنه لابدَّ لتحقيق الإيمان من التزام بالأعمال. وأن لهذا الإيمان ثمرات: منها: ذكر الله، وخوفه، ورجاؤه، والتوكل عليه، وشكره، والصبر على طاعته وأقداره وعن معاصيه، والانقياد لحكمه، وأن يُحب في الله ويبغض في الله، والتوبة والاستغفار.

واختار الشيخ هنا أن الإيمان يزيد وينقص، وأن ارتكاب الكبيرة دون استحلال لها لا يخرج المسلم من دائرة الإسلام، بل يكون معرضًا للعذاب إن لم يتب الله عليه، وهذا كله موافق لمنهج السلف الصالح.

المبحث السابع: عنوانه: «**الإيمان باليوم الآخر**»، تحدث فيه الشيخ عن وجوب الاستعداد للموت، وأثبت فيه يوم القيامة، وأن الناس لا يعلمون موعد الساعة، ثم تحدث عن بعض أهوال يوم القيامة، ومنها: النفخ في الصور، والبعث، والميزان.

قال الشيخ: [إن كل ما قالوا في وصف الميزان وشكله لا دليل عليه](١).

قلت: ورد في ذلك آثار عن بعض السلف بأن له لسانًا.

ولم يرد ذلك في حديث مرفوع إلى النبي ﷺ سوى أن له كفتين، كما في حديث صاحب البطاقة(٢).

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام، ص١١٠.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥). وانظر: =

النفع والضرر، بلا أسباب ظاهرة، ولا واسطة ملموسة. وكل ذلك (رد فعل) لسوء حاضرنا، وجلال ماضينا][١].

المبحث التاسع: «الإيمان بالغيب»، أثبت فيه الشيخ وجوب الإيمان بالغيب.

قال الشيخ:

[والغيب الذي هو ركن الإيمان، والذي يكفر منكره ويخرج من ملة الإسلام، هو ما جاء في القرآن. أما الغيب الذي ورد في السنة الصحيحة، فلا يكفر منكره ويخرج من الملة، بل يفسق][٢]!

قلت: هذا من أخطاء الشيخ ـ هداه الله ـ لأن السنة الصحيحة وحي من الله كالقرآن، قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٣].

فلا يجوز الإطلاق بأن من ردها لا يكفر، لأنه قد يردها تعنتاً وازدراءً بها كما يفعل (القرآنيون) ممن يَدَّعون اعتماد القرآن وحده، فهذا كفر صريح.

أما من رد السنة لاعتقاد عدم ثبوتها أو تأولها، أو نحو ذلك فهذا لايكفر.

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٠.

(٣) النجم: ٤.

قال ابن القيم رحمه الله:

[إن من رد الخبر الصحيح اعتقاداً لغلط الناقل أو كذبه أو لاعتقاد الراد أن المعصوم لايقول هذا، أو لاعتقاد نسخه، ونحوه، فرده اجتهاداً وحرصاً على نصر الحق، فإنه لايكفر بذلك ولا يفسق، فقد رد غير واحد من الصحابة بعض أخبار الآحاد الصحيحة.. كما ردت عائشة ـ رضي الله عنها ـ حديث ابن عمر في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه(١) وغير ذلك](٢).

فالخلاصة: في مسألة (رد خبر الآحاد) أن يقال:

[بأن من اتضحت له السنة ولو آحاداً وتحقق ثبوتها عن النبي ﷺ، ثم ردها بدون تأويل ولا شبهة، وقامت عليه الحجة فإنه يكفر، لتظاهره برد شيء مما جاء به الرسول ﷺ عن ربه، ومن رد شيئاً من دين الرسول كمن رده جميعه.

وعلى هذا فلا فرق بين الأصول والفروع في التكفير](٣).

والمغيبات التي ذكر الشيخ وجوب الإيمان بها هي:

---

(١) رواه البخاري في «كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «**يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه**» (٢/ ٨١)، ومسلم في «كتاب الجنائز» رقم ٢٢ـ٢٣ (٢/ ٦٤١).

(٢) مختصر الصواعق (٢/ ٣٧٠)، والكلام السابق منقول عن «عقيدة الإمام ابن عبدالبر» للشيخ سليمان الغصن (ص١٢٨ـ١٢٩).

(٣) «أخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ ابن جبرين، ص١٣١.

ويَفْصل في هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه بأن المؤمنين يأتون إلى آدم يوم القيامة فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: «**وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟**» فثبت بهذا الحديث الصحيح أنها جنة الآخرة.

المبحث العاشر: «الإيمان بالملائكة والجن»، أثبت فيه الملائكة وصفاتهم الواردة في القرآن، والجن وصفاتهم، وأن الشياطين هم كفار الجن.

الشيخ يُنكر تلبس الجن بالإنس:

ومع إيمان الشيخ بالجن وصفاتهم الواردة في الكتاب والسنة، إلاَّ أنه قد اشتهر عنه أنه ينكر جواز تلبس الجني بالإنسي، وقد ردَّ عليه الشيخ ابن باز حينها، وبيَّن له خطأ رأيه هذا ومخالفته لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة.

قال الشيخ ابن باز: [وقد بلغني عن فضيلة الشيخ علي الطنطاوي أنه أنكر حدوث مثل هذا الأمر، وذكر أنه تدجيل وكذب](١).

ثم ذكر الشيخ الأدلة على جواز هذا الأمر، ثم قال: [وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن صفية ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم**

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/ ٣٠٠).

القبيل، والدليل على ذلك أنه لم يقل أحد: إنَّ غمس جناحي الذبابة واجب، وإن مخالفة هذا الأمر ـ وعدم غمسه ـ حرام][(١)]!!

قلت: هذا من زلات الشيخ العِظَام! وهو من التقول على الرسول ﷺ بلا علم، وأنه قد يخبر الأمة بخبر يكتشفون فيما بعد خطأه! نعوذ بالله من هذا الضلال.

والشيخ قد قاس هذا الحديث على حديث (التلقيح) المشهور وهو أنه ﷺ مر على قوم يلقحون النخل فقال: «**ما أظن يغني ذلك شيئًا**» فلم يلقحوه ففسد تمرهم فأخبروه، فقال ﷺ: «**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدَّثتكم عن الله شيئًا فخذوا، فإني لن أكذب على الله ـ عز وجل ـ**»[(٢)]، وحديث التلقيح هذا قاله الرسول ﷺ في مسألة دنيوية بحتة، ثم أخبرهم بأنه قد قاله من رأيه لا عن وحي من الله، وأما حديث (الذبابة) فهو أمر عام لجميع الأمة، وهو أمر ندب لا أمر إيجاب كما قال العلماء، وليس هو من الأمور الدنيوية التي قد يخطيء فيها رسول الله ﷺ! لأنه ﷺ لم يخبرهم بهذا، وإن كان الشيخ يجوِّز أن يكون الرسول يخبر بخبرٍ عن أمرٍ دنيوي ثم يخطيء فيه ولا يبين ذلك للأمة إلى أن يموت ﷺ، فقد ظن بالرسول أمرًا عظيمًا، وهو أنه قد خان الأمة وجعل أمور الوحي تختلط عليها بالأمور الدنيوية التي قد يخطيء فيها ﷺ! ونربأ بالشيخ أن يكون قد

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام، ص١٦١.
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٦١).

عند حديثه عن توحيد الربوبية، والألوهية.

٢ ـ أنه لم يتطرق لأسماء الله الحسنى وهي ملازمة للصفات.

٣ ـ أنه ضل في مبحث (صفات الله) فرجح مذهب التفويض مرةً ومذهب التأويل مرةً أخرى، ولم يستطع إدراك مذهب السلف.

٤ ـ أنه لم يُفصل في أمور الغيب: فلم يذكر مبحث الشفاعة وأنواعها، أو رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

٥ ـ أنه لم يتطرق في كتابه للحديث عن موقف المسلم من صحابة رسول الله ﷺ سواءً في تفضيل بعضهم على بعض، أو الكف عما شجر بينهم، وسلامة الصدر تجاههم، لاسيما وكتابه مخصص للشباب الذين يُخشى عليهم أن ينساقوا في هذا الباب وراء أكاذيب الروافض وشبهاتهم حول الصحابة الكرام، فكان الواجب على الشيخ أن يُحصن هؤلاء الشباب تجاه شبهات أعداء الصحابة بذكر منهج السلف في هذا الباب المهم.

٦ ـ أن الشيخ قليل الاهتمام بحديث رسول الله ﷺ، فلا تجد في جميع كتبه أي احتفاء بها! وهذا مما يُستغرب جداً، فمثلاً في كتابه السابق «تعريف عام بدين الإسلام» نجده لا يحتوي إلا على أحاديث يسيرة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة! برغم أن الكتاب يتحدث عن العقيدة الإسلامية لطائفة الشباب، وإنما اكتفى عند تأليفه بالقرآن الكريم كما يقول.

علمه بالحديث نجده يؤصل أصولاً (عجيبة) وينسبها إلى أهل الحديث! فمن ذلك قوله: [من القواعد المعروفة عند أهل المصطلح: أن الرسول ﷺ لا يقول ما يناقض القرآن، ولا ما يخالف الواقع المشاهد، فإن روي حديث مناقض للقرآن، أو يخالف الواقع المشاهد، نحكم أن الرسول لم يقله، ولو روي بسندٍ صحيح][(١)].

والغريب في كلام الشيخ هو تناقضه! فكيف يجزم بأن الرسول ﷺ لا يقول ما يناقض القرآن ثم يتوهم أن يوجد حديث صحيح يخالف القرآن! إلا إذا كان الشيخ يجوز أن يوجد حديث صحيح لم يقله رسول الله ﷺ! وفي هذا ما فيه من طعن بأهل الحديث الذين قد يُجمعون على تصحيح حديث، وتقويل الرسول ﷺ ما لم يقله.

والصواب: الذي يجب أن يعلمه الشيخ أنه لايوجد حديث صحيح يخالف كتاب الله أبداً، لأنهما ـ أي الكتاب والسنة ـ يخرجان من مشكاة واحدة، فهما جميعاً وحي من الله لا يمكن أن يتعارض.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

[والذي يجب على كل مسلم اعتقاده أنه ليس في سنن رسول الله ﷺ الصحيحة سنة واحدة تخالف كتاب الله، بل السنن مع كتاب

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام، ص١٣٢.

سنةٌ لرسول الله كتاب الله بحال][1].

ما سبق ـ أخي القاريء ـ هو استعراض سريع لكتاب الشيخ (تعريف عام بدين الإسلام) الذي يمثل ملخصًا لعقيدته التي يدين الله بها، وقد علمنا ما له وما عليه في هذا الكتاب.

وقد بقي بعض المباحث العقدية التي تطرق إليها في كتبه الأخرى، ومن ذلك:

عقيدة الولاء والبراء عند الطنطاوي:

يرى الشيخ ضرورة موالاة المؤمنين ومحبتهم، ومعاداة الكافرين وبغضهم، كما هو منهج السلف.

يقول الشيخ عن أستاذه النصراني فارس الخوري:

[كان أستاذي، استفدت منه، وقدرت فضله، ومدحته، ولكن كان آخر مسلم في آخر الأرض أقرب إليَّ منه!

هذا الكلام لم أقله الآن، ولكن صدعت به على المنبر من نحو ثلاثين سنة، فاستأذنني الأستاذ أحمد عسة (وكان يومًا تلميذي) أن ينشره في جريدته فأذنت، فنشرته الجريدة بالخط الكبير (المانشيت)، بالقلم العريض، وكانت إحدى مرات ثلاث، ثارت فيها جرائد دمشق كلها عليَّ وتبارت في ذمي وشتمي، وجرَّب كل ذي قلم قلمه فيَّ، أما ذنبي الذي لا يغتفر، فهو أني (كفرت) بدين

---

(١) الرسالة (ص٥٤٦).

القرابة وبيّن له أن رابطة الإيمان أقوى من رابطة الأبوة فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[(١)]][(٢)].

قلت: قد أحسن الشيخ عندما قرر عقيدة (الولاء والبراء) مع الكفار، ولكنه أخطأ في قوله عن كفار أهل الكتاب:

[أما الذميون، أي المواطنون غير المسلمين في البلاد الإسلامية، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، ماداموا على العهد الذي بينهم وبيننا][(٣)].

قلت: بل الصواب أن المسلم هو الذي له ما لنا وعليه ما علينا، كما قال ﷺ فيما نقله عنه سلمان ـ رضي الله عنه ـ: «... **فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا**»[(٤)]، أما الكافر الذمي فلا يقال في شأنه (له ما لنا وعليه ما علينا) فإن هذه المقولة أطلقها بعض الفقهاء، وقلده فيها آخرون، وظنها بعضهم حديثاً[(٥)]! والفروق بين المسلم والكافر كثيرة جدًا ليس هذا موضع بيانها.

رأيه في الديمقراطية:

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) ذكريات الطنطاوي (٨/ ١٣).

(٣) فتاوى الطنطاوي، ص٩٧.

(٤) أخرجه الترمذي (١/ ٢٩٢) وصححه الألباني في الإرواء (١٢٤٧).

(٥) وقال الألباني عنها: [باطل لا أصل له في شيء من كتب السُّنَّة، وإنما يذكره بعض الفقهاء المتأخرين ممن لا دراية لهم في الحديث].
انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥/ ١٩٥).

رجعوا إلى رأيهم، أو علقوا عليه، وعدّلوا فيه، ولكن لم يهملوه، ولم يطّرحوه؟ من علماء الدين، ومن المربين والمعلمين، والوجهاء والمقدمين، وكل من كان من أهل الصلاح والخير: من التجار ورجال الأعمال، ومن الأطباء والمحامين، والمتقاعدين المجربين من القضاة والموظفين، وأمثال هؤلاء ممن عرف بالاستقامة والأمانة، وصحة العقل، والحرص على مصلحة البلد، وعلى رضا الله؟ هؤلاء هم (أهل الحل والعقد)، الذين يختارون الحاكم، خليفة سميناه، أم أمير المؤمنين، فليس المدار على الاسم ولكن على المسمى.

هذه هي (الديمقراطية) المبصرة. أما (الانتخابات) بصورتها التي نعرفها، فهي الديمقراطية العمياء، الحق فيها مع من هم أكثر عددًا، لا مع من هم أقوم سبيلاً وأقوى دليلاً. تُهدر فيها الكفايات، وتُعطّل المزايا، ويستوي عند (التصويت) القاضي، واللص، وإمام المسجد، وسارق الأحذية، وأستاذ الجامعة، وناطور الماخور، كل منهم له صوت، ولا يَرْجَح في الميزان صوت على صوت. فإن رأي الطبيب الجراح، أن المريض محتاج إلى عملية عاجلة، إن تأخرت مات، ورأت (الأكثرية) من الموظفين والإداريين في المستشفى، والممرضين والخدم رفض العملية، كان الحق في النظام البرلماني معهم، والرأي لهم، ولو مات المريض! وإن قرر ربان الطيارة الهبوط هبوطًا اضطراريًا، لاختلال المحرك، أو نفاد الوقود، أو سوء حال الجو، ورأت أكثرية الركاب الاستمرار في الطيران، كان الحق معهم، والرأي رأيهم، ولو سقطت الطيارة،

إن الحكمة هي أن تضع الشيء في موضعه، والرجل في مكانه، وإلا كنت ممن يلبس بنطاله بيديه، ويدخل كمّي ردائه في رجليه، ويعلق حذاءه في عنقه ويمشي حافيًا . .

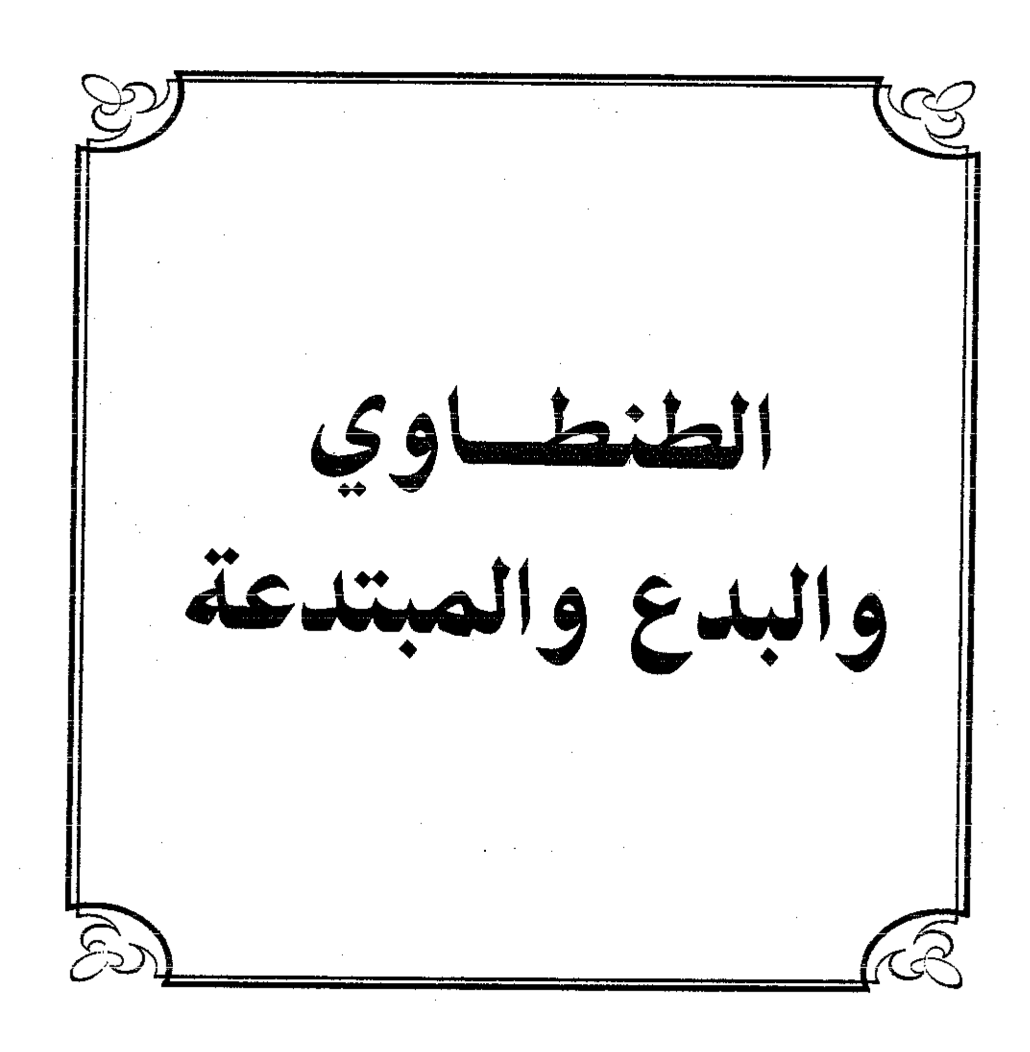
وإن من أمارات الساعة، وعلامات اقتراب القيامة، أن يوسد الأمر إلى غير أهله وأن يكلف الرجل غير العمل الذي أتقنه، وأن يوضع في غير الموضع الذي يصلح له .

ولكننا لما فُتِنّا بهذه الحضارة العصرية، وأخذناها بكل ما فيها، حتى ولو بان عيبه، وبدا فساده، أخذنا النظام البرلماني، وكان بالإمكان تنظيم اختيار أهل الحل والعقد، ووضع القواعد والضوابط لهذا الاختيار، فلا يبقى فوضى كما هو الآن، ولا نحمل معايب هذه الانتخابات. وليت هذه الانتخابات جرت عندنا كما تجري عندهم. ما سمعنا بانتخابات تزوَّر في انكلترا أو فرنسا، فترمى صناديقها وتوضع في مكانها صناديق معدَّة من قبل، فيها أوراق ما سطرها المنتخبون ولكن أملاها الحاكمون، حتى صارت نتيجتها معروفة قبل أن تجري، ونسبة الأصوات التي نالها الناخبون، حددت قبل أن تكون الانتخابات، لاسيما في (الاستفتاء) الشعبي العام][١] .

ويقـــول :

[والديمقراطية عندهم هي حكم الشعب (ديموس الشعب

(١) ذكريات الطنطاوي (٢/ ٩٧ ـ ١٠٠).



الطنطاوي والبدع والمبتدعة

الطنطـاوي والبدع والمبتدعة

ينكر الشيخ البدع، ويدعو إلى اتباع منهج السلف الصالح، ويرى أن البدع تكون في الأمور الدينية لا الدنيوية، وإليك شيئًا من أقواله:

يقول الشيخ:

[كنا نقدر السلف، ربما زدنا في تقديرهم عن الحد، ولا أزال أحفظ كلمة تلقيناها من مشايخنا:

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

الاتباع وترك الابتداع، في العقائد وفي أصول الدين، لا في أمور الدنيا. فأمور الدنيا لنا، نأخذ منها كل حق وندع كل باطل، ونتمسك بكل نافع وننبذ كل ضار، جديدًا أم قديمًا، فما العبرة بالجدة ولا بالقدم. شرقيًا كان أم غربيًا، فالحق يعرف بأنه حق، لا بالجهة التي جاء منها][١].

ويقـــول:

[وخرجنا نتجول في البلد (في القريات)، فرأيناها كلها في جولة واحدة، ورأيت المساجد (في السعودية) أول مرة، والمساجد تتفاوت في جمال بنائها وزخارف جدرانها، والفن في منبرها

---

(١) ذكريات الطنطاوي (٧/ ٨٦).

فلا!][١].

ويقـــول:

[إن اختلاف صور رمضان في تلك البلدان جاء مما ابتدع الناس وأحدثوه، فالدين واحد، والصورة الأصلية، صورة مجتمع الصحابة الذي كان يشرف عليه ويهديه سيد البشر محمد ﷺ، لو بقي المسلمون عليها لما اختلفوا، ولكنهم ابتدعوا بدعًا ألصقوها بالدين، وجاء العلماء فكشفوا تلكم البدع، وهذا معنى الحديث: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها دينها»**، يجدده كما يغسل المرء ثوبه من الأوساخ فيعود جديدًا كيوم اشتراه، فالتجديد المراد هو هذا، لا أن يأتي بدين جديد غير ما جاء به رسول الله ﷺ][٢].

ويقـــول:

[جاء المملكة من قريب عامل ممن تعلم هذه الصنعة اسمه (فلان العقاد) ـ نسيت اسمه الأول ـ وهو يعمل في الرياض ومعه لوحة صنعها باعها بألف ريال! فابحثوا عنه، واستقدموا زملاءه، واستفيدوا منهم فيما تقيمون من عمارات، تريدون لها الزخرف والجمال، ولكن ابتعدوا عن المساجد، فالمساجد ليست معارض فن، ولكن محاريب عبادة، لذلك يكره فيها كل ما يشغل المصلي عن صلاته لاسيما إن كان في جدار القبلة. أمور الدين يا سادة

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٨٢ ـ ٨٣).
(٢) المصدر السابق (٣/ ١٢٠).

الشام][1].

ويقول عن المولد النبوي الذي تقام لأجله الكثير من الاحتفالات في أرجاء العالم الإسلامي، بدعوى محبة الرسول ﷺ:

[وهذه الاحتفالات إذا ادعى مُدَّعٍ أنها من الدين وأنها قربة إلى الله، قلنا له: لا. لأن الرسول ﷺ بلّغ الشريعة كلها، ولم يترك بابًا ندخل منه إلى رضى الله إلا دلَّنا عليه وفتحه لنا، ومن ادعى أن إقامة هذا الاحتفال، وهذه الخطب، وهذا التذكير، في يوم المولد أفضل منه في غيره قلنا له: لا. لأن الأيام لا يفضل بعضها بعضًا إلاَّ بدليل شرعي، وحكم هذا الاحتفال، أنه إن كان من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ونشر العلم، فهو مطلوب في كل وقت غير أن تخصيصه بيوم معين ـ وإذا ادعى أن إقامته في هذا اليوم أفضل من إقامته في غيره ـ كان ذلك بدعة][2].

ويقــول:

[كنت في سنة ١٩٤٣ اقترحت على الصديق الكبير جميل بك الدهان، مدير الأوقاف العام، ولم تكن الوقاف قد صارت وزارة، أن يدع هذا الاحتفال الذي يقام في الجامع الأموي يوم المولد، فيُتلى فيه كلام مكذوب على رسول الله ﷺ، وتنشد فيه أناشيد أيسر

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٢٤٣).
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٤٧).

قلت: فليقرأ الشيخ الكزبري التعطيرة الأخيرة من المولد المعتاد، ثم ينشد السيد توفيق المنجد قصيدة نختارها نحن له، في مدح رسول الله ﷺ، لا يكون فيها شيء يخالف الإسلام][1].

موقفه من فِرق المبتدعة:

وأما عن موقف الشيخ من فِرق المبتدعة التي يعج بها العالم الإسلامي، فإنه لم يتطرق لكثير منها حيث يدعي أنها قد انقرضت! فهو يقول:

[لقد تبدلت طرق الهجوم على الإسلام فوجب أن نجدد طرق الذب عنه ودفع الأعداء عن حماه، إنه لم يعد ينفعنا أن نرد على **الفرق التي بادت وفنى أهلها**، ولم يبق منها إلا ما روي في الكتب من عقائدها، وأن نشتغل بالمذاهب الجديدة التي تكيد للإسلام كيدًا أشد من كيد الأولين][2].

قلت: نسي الشيخ أن لكل قوم وارثًا، وإن لم يتسمَّ بالاسم القديم، فهاهم مثلاً العقلانيون من أمثال أحمد أمين والغزالي ومحمد عمارة وغيرهم يحيون فكر المعتزلة القديم، ويبعثونه من رقاده. وهاهم الخوارج لازالوا يعيشون في عصرنا.. وهكذا غيرهم، وردود السلف على أسلافهم ـ لمن تأمل ـ هي مناسبة للرد على خَلَفهم، فالشُبه والبدع واحدة لم تتغير.

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٩ ـ ٣٠).
(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٢١).

أهل مصر يحبون آل البيت حبًا قد يصل أحيانًا إلى الغلو، تراه عند قبر الحسين وما يصنعون عنده، والحسين رأسه في المشهد المعروف باسمه في جامع بني أمية في دمشق، وجسده موسد ثرى كربلاء في العراق، وما منه في مصر شيء. ولست أنا قائل هذا الكلام، فتُوَجَّه إليَّ السهام، ويُلقىٰ على عاتقي الملام، ويُجَرَّد في وجهي الحسام، ولكن قائله بل كاتبه الذي أيَّده بالدلائل، وأقام عليه البينات، شيخ الإسلام ابن تيمية. فمن غضب منه فليرد على الشيخ لا عليَّ، فما لي في الأمر ناقة ولا جمل، ولا لي فيه سخلة ولا حمَل.

وما يصنع الناس عند قبر السيدة زينب، وما في مصر من مشاهد منسوبة إلى أهل البيت. وكلنا يحب أهل البيت، الذين قال الله لهم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، وإن كان المراد الأول هنا بأهل البيت أمهات المؤمنين، الذين وُجِّهَت الآية إليهنَّ، وصُدرت بندائهن: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾[2] وهذا الكلام أيضًا ليس من عندي، بل هو كلام ابن حزم العظيم، الذي كان (لولا ظاهريته) المفرد العلم.

أراد الزيات أن نزور هذا القمي أنا وهو وأخي الأستاذ سعيد الأفغاني. وكان ينويها زيارة مطارحة ومجاملة، ونويناها (أنا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

يقول الشيخ عن هذا الرافضي الذي كاد أن ينخدع به:

[قلت لكم في الحلقة الماضية أنهم انتدبوني أنا والأستاذ كامل الشريف، لما حكم على أخينا[1] نواب صفوي بالقتل، أن نذهب إلى طهران فنسعى للعفو عنه أو للرفق به. لما بلغنا بغداد منعونا دخول إيران، وكأنهم كرهوا أن نذهب إلى النجف فنجتمع بعلمائها، لنتعاون معهم على ما جئنا نسعى إليه، فقدمت جماعة كبيرة من علماء الشيعة إلى بغداد، واجتمعنا في مسجد الكاظمية فقلت لهم: إن نواب صفوي أنتم أولى به، وإن قضيته قضيتكم، وإنه، وإن لم يكن بعيدًا منا، أقرب إليكم، فاعملوا ونحن معكم، وقلت لكم ما استطعنا أن نصنع شيئًا، وأن سهم القضاء قد نفذ فيه فمات، رحمة الله عليه[2].

وقد يسأل سائل: من أين عرفت نواب صفوي؟ لقد سمعت أخبار جماعته الفدائية، تلك الأخبار التي ملأت الصحف في تلك الأيام، وما كان يعمل أعضاء «فدائيان إسلام»، فلما قرأت اسمه بين أعضاء المؤتمر كرهت لقاءه، وخفت أن يكون كما قالوا مغرقًا في شيعيته فيقع بيني وبينه جدال ربما أساء إلى المؤتمر، وأبعده عن بلوغ الغاية التي يسعى إليها، فلما لقيته وجدته شابًا صغير السن بهي الطلعة، لطيفًا، بعمامة أظن أنها كانت سوداء، وجُبة سابغة، ولما كلمته وجدته متأدبًا يحترم الكبير، ويستمع النصيحة،

---

(١) لا يجوز إطلاق (الأخوّة) على الروافض، أو محبتهم. وهذه زلة من الشيخ.

(٢) !!

ثم انتقل إلى السلفية بحكم علاقته بخاله السلفي محب الدين الخطيب، وشيخه العلامة محمد بهجة البيطار، فلذا نَبَذَ الصوفية بعد أن كادت تُنشب فيه أظفارها.

يقـول الشيـخ:

[الذي أعتقده في مسألة الصوفية، أن لموضوع التصوف أصلاً أصيلاً في الدين، لأن الدين ما جاء لأعمال الجوارح فقط، بل للنيّات والمقاصد والقلوب، ومن صلى الصلاة الكاملة في قيامها وقعودها، وركوعها وسجودها، ولم تكن نيته بها وجه الله، بل الرياء والخداع، لم يكن لها عند الله وزن. فإن كان المراد من التصوف هو تصحيح النيات، ومداواة أمراض القلب، وإصلاح السرائر، كان لبّ الدين بشرط الوقوف فيه عند حدود الكتاب والثابت من السنة، كما كانت الحال في القرن الأول والثاني، ثم أحدث (التصوف) المعروف وصارت له رسوم خاصة واصطلاحات فاختلط فيه الصحيح بالفاسد، والحسن بالسيء، فما كان من (وحدة الوجود) و(مسألة الأقطاب والأوتاد) و(دعوة التصرف في الكون) ودعوة أن للدين ظاهرًا وباطنًا، فالظاهر هو الشرع والباطن هو الوساوس والخطرات التي تعرض لأصحاب الرياضات، وتفسير القرآن بها تفسيرًا لا يؤيده أثر ولا تحتمله اللغة، وأمثال ذلك فهو مردود، وليس من الإسلام.

أما الكلام في أشخاص بأعيانهم كمحيي الدين بن عربي وابن الفارض والشعراني وعبدالغني النابلسي، فأنا لا أحكم على

الصحيحة، فالكتاب والسُّنَّة هما الدين وما خالفهما ليس من الدين][1].

ويقول ـ أيضًا ـ:

[التصوف إذا كان المراد منه كما يقول أوائلهم ممن كان أيام الجنيد وقبل الجنيد: إذا كان مقيدًا بالكتاب والسُّنَّة كما جاء مثلاً في كتاب «مدارج السالكين» لابن القيم، إذا لم يخالف نص الكتاب والسُّنَّة الصحيحة وكان يؤدي إلى تصفية النفس والبُعد عن الرياء وتصحيح الإيمان، فنقبله ولو سميناه بهذا الاسم الغريب علينا، اسم التصوف. كلمة الصوفية على الصحيح من أصل يوناني، وليست كلمة عربية، لكن ما انتهى إليه المتصوفة من القول بوحدة الوجود، وما دعوة (الحقيقة المحمدية) والقول بأن الدين منه ما هو شريعة ظاهرة، ومنه ما هو حقيقة، والشريعة مردها إلى الكتاب والسنة، والحقيقة مردها إلى الأذواق والخواطر والخيالات، ولو كانت خيالات الحشاشين وأوهام السكارى، وما أدى إلى القول بالقبطانية وما جاء به الشعراني في كتابه «الطبقات الكبرى» مثلاً، فهذا كفر لا شك فيه، ومن شك في أنه كفر يكون كافرًا][2].

وقال ـ أيضًا ـ:

[ما زعمه بعض المتصوفة، ومانسبوه إلى رابعة العدوية من

---

(١) فتاوى الطنطاوي، ص٨١.

(٢) المصدر السابق، ص٨٤.

كان الدليل يطأ الصخر وطء متعسف جبار ويدحرج الحجارة بقدميه، فصرخت به: ترفق ويحك! فإن هذه الصخور قد سمعت يومًا أول كلمة من حديث السماء في أذن الأرض، إنها شهدت أول آية في كتاب الله، الذي هبط به سيد الملائكة جبريل، على سيد البشر محمد، لقد انقطع بريد السماء مذ مات محمد، ولم يبق من شهودالوحي إلا هذه الشعاف، وهذه الأصلاد.

على أننا لا نقدس جبلاً ولا نعبد حجرًا، حتى الحجر الأسود نُقَبله امتثالاً لأمر الشرع ونعلم أنه حجر. والأنصاب في منى نرميها امتثالاً لأمر الشرع ونعلم أنها حجر، وما عظمنا الأول لذاته، ولا حقرنا الثاني لذاته][1].

ويقول عن مقبرة البقيع بالمدينة النبوية:

[انتصرتَ أيها البقيع. فما وفيت ولا أُنصفت.. جاءك الأبطال الذين فتحوا الدنيا. ونشروا راية العدل على الأرض. وأضاؤوا طريق الهدى للناس. ليستريحوا في أرجائك، ويناموا في حماك. فحرمتهم قبرًا يعرف لهم، وحجرًا تكتب عليه أسماؤهم.

ما نريد منك أن تنقش على قبورهم آيات التبجيل والثناء فإن لهم من أسمائهم الكبيرة غنية عن كل تبجيل وثناء. لكنا نريد ألا تنسى هذه الأسماء][2].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

(٢) من نفحات الحرم، ص٤١.

اليوم وسط المسجد الحرام، ودار أبي سفيان، وما أظن أن أحدًا يفتي بأن الشرع يحرم ذلك، لأنه لا يخطر اليوم على بال أحد أن يقدس هذه الآثار تقديسًا يفضي به إلى عبادتها، أو تعظيمها التعظيم المطلق الذي هو من مظاهر العبادة. والعبادة بجميع طرقها، وكافة مظاهرها لله وحده، وروح العبادة الحب المطلق، والخوف المطلق، وألاَّ تطلب ما لا يدرك بالأسباب المادية، من غير من وضع هذه الأسباب، وأن تعلم أن الذي بداية المخلوقات كلهم منه، ومرجعهم جميعًا إليه، هو الله، هو الرب الخالق الحافظ، وهو الملك القادر المتصرف، وهو الإله الذي لا يعبد معه سواه، ولا يستحق العبادة غيره، وأن تؤمن بكل ما نزل به وحيه على رسوله، لا تنكر شيئًا منه ولا ترده ولا تؤمن بشيء يخالفه ولا تقبله][1].

قلت: في هذا الباب تساهل الشيخ كثيرًا عندما طالب بتعظيم الآثار تحت دعاوى تذكير المسلمين بماضيهم، ونسي أن هذا التعظيم والاهتمام بالآثار هو باب عظيم من أبواب الشرك، وإذا كان هو لعلمه واتزان عقله لم يخطر هذا بباله، فإن الجهلة من المسلمين ـ وما أكثرهم ـ سيتخذون مثل هذا العمل وليجة إلى البدع والشركيات، وستتطور الأمور رويدًا رويدًا إلى أن تصل إلى ما لا يحمد عقباه.

---

(١) ذكريات الطنطاوي (٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

[هذا هو الغزالي، والفكر الإسلامي من خمسين سنة إلى اليوم مطبوع بطابع شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكنه بدأ يعود إلى طابع الغزالي كما كان من قبل، وكلاهما عظيم ولكن الغزالي أعظم في عالم الفكر، وعالم البيان، وابن تيمية أقرب إلى الكتاب والسنة، وإلى ما كان عليه السلف.

رحمة الله عليهما، وعلى كل من وضع لبنة في هذا الصرح العظيم، صرح الفكر الإسلامي][1].

قلت: فات الشيخ أن الغزالي هذا هو أحد الذين أشغلوا الأمة الإسلامية في مجادلات كلامية، كانوا في غنىً عنها بسبب مواقفه المتقلبة، وكتبه المثيرة للجدل، ككتاب (إحياء علوم الدين)، ومن تأمَّل سيرة الغزالي يجد أنه لم يُفِد الأمة الإسلامية فائدةً تذكر سوى في بعض المباحث اليسيرة في كتابه السابق التي تدور حول التربية وتزكية النفس.

وأما في العقيدة: فالرجل متذبذب بين الأشعرية والصوفية.

وأما في الحديث: فبضاعته فيه مُزجاة، كما يقول هو.

وأما في الفقه: فهو شافعي مقلِّد.

وأما في الجهاد: فلا دور له إلا بث روح التواكل بين الأمة حتى وصل الأعداء إلى عقر دارهم.

---

(١) رجال من التاريخ، ص٢٢٤، ٢٢٥.

(متميع) مع أهل البدع بسبب إحسانهم إليه وطبعهم لكتبه!

والكوثري كما هو معلوم رأس من رؤوس البدعة في هذا الزمان، فهو أشعري، قبوري، حنفي متعصب، يكره السلفية أشد الكره، ويذم شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم بل يصل في ذلك إلى تكفيرهم! وليت الشيخ على أقل تقدير قد قرأ كتاب شيخه محمد بهجة البيطار: (الكوثري وتعليقاته) لعَلِمَ الكثير عن هذا المبتدع، ولتحَرَّج كثيرًا عن إطلاق (أستاذنا) عليه.

ثناؤه على ابن أبي دؤاد:

ومن ذلك أنه أثنى على شيخ المعتزلة في عصره: أحمد بن أبي دؤاد، فقال عنه بأنه: [من أجلّ رجال الإسلام فضلاً ونُبلاً، وبيانًا وعقلاً](١)!! وهو يعلم أن هذا الرجل هو أحد رؤوس الفتنة في عصره، وهو الذي دعا إلى امتحان الإمام أحمد ودعوته إلى عقيدة المعتزلة في القول بخلق القرآن. فما كان للشيخ (السلفي!) أن يُثني عليه، أو يمدحه بما لا يستحق.

---

(١) رجال من التاريخ، ص١٣٤، الطبعة الثامنة. وأفرد له في الكتاب السابق ترجمةً خاصة (ص١٤٧) بعنوان (العالم النبيل)! رغم أن الشيخ ـ في هذه الطبعة ـ قد خفف من غلوه في هذا المبتدع، مقارنةً بالطبعات السابقة.



الطنطاوي والسلفية والوهابية

الطنطاوي والسلفية والوهابية

سبق أن عرفنا في المقدمة أن الشيخ كان صوفيًا ثم انتقل إلى السلفية، كما يقول، فلنستمع إلى أقواله حول موضوع السلفية، والوهابية، مع التعقيب على الأخطاء التي وقع فيها. يقول الشيخ:

[أنا رجل مرَّ بمراحل، فقد كانت نشأتي الأولى على يد مشايخ كلهم صوفي، فكان من ثمرات ذلك أن كرَّهوا إليَّ ابن تيمية مثلاً، وابن عبدالوهاب، ثم سافرت إلى مصر سنة ١٣٤٧هـ لأدرس فيها وأنا ابن عشرين سنة، متفتح القلب للتلقي، فحوَّل خالي محب الدين، ومن عنده من رواد المطبعة السلفية وجهتي وجعلوني أحب ابن تيمية وابن عبدالوهاب بعد أن كنت أكرههما، ثم دنوت حينًا من الشيخ زاهد الكوثري عن طريق صديقنا حسام الدين القدسي، ونشرا لي أول ما أصدرت من مطبوعات وهو (رسائل الإصلاح) التي نُشرت سنة ١٣٤٨هـ، وأقامت الدنيا عليَّ، وردَّ عليها كثير، كان أشدهم الشيخ أحمد الصابوني الحلبي، ثم صحبت الشيخ بهجة البيطار فرجعت إلى ما كنت عليه مع خالي محب الدين الخطيب، وانتهيت الآن بحمد الله إلى طريق الصواب، فلا ألتزم التزامًا كاملاً إلا بما صح عن المعصوم الذي هو الرسول ﷺ، وما جاء في كتاب الله الذي لا يدانيه الباطل، ولا

من هنا كان اتصالي بالشيخ بهجة سبب سخط هؤلاء المشايخ عليَّ، حتى أن أحدهم لقيني مرة، فسألني عن حالي، فقلت في نفسي: لماذا لا أُلقي بالحقيقة الثقيلة عارية في وجهه، وما شاء فليفعل؟ فقلت له: أقرأ كتابًا لابن تيمية على الشيخ بهجة، في دار الشيخ ياسين الرواف، أي أنني جمعت له الوهابية من أطرافها، فأخذني إلى مدرسته، وكان مدير مدرسة أهلية فلقينا الشيخ أمين سويد وهو من كبار علماء الشام، وقد جاء به الشيخ محمد علي زينل يدرس في مدارس الفلاح هنا، ثم أخذه يدرس في مدرسة الفلاح في بومباي. وكان الشيخ أمين شيخ أبي فقال له: يا سيدي هذا ابن الشيخ مصطفى، صار وهابيًا ينكر التوسل. فقال الشيخ، رحمة الله عليه: يا بني، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. دعه فلا شيء لك عليه][1].

ويقول الشيخ:

[وجاءتنا مشكلة أخرى، قام جماعة من المشايخ الذين يميلون إلى الصوفية، ومعهم أتباع لهم من الشباب، ينكرون علينا أننا اخترنا سفح قاسيون لصلاة الاستسقاء، بدعوة أن هذا المكان يقيم فيه الوهابية صلاة العيد.

وأنتم لا تدرون ما معنى التهمة بالوهابية في الشام في تلك الأيام؟ كانت الوهابية تهمة خطيرة يثيرون بها العوام، وطالما كتبت

(١) رجال من التاريخ، ص٤١٦، ٤١٧.

كان يعامل المسلمين هناك ويعاملونه، فكان خصام بينه وبين أحد التجار المسلمين. فأعلن في المسجد أن فلانًا (أي الهندوسي) وهابي، فقاطعوه حتى اختلت تجارته، ولم يخلصه إلا أن أرضى التاجر المسلم، فجاء المسجد فأعلن أنه تاب من الوهابية ورجع إلى بوذيته، فرجعوا إلى معاملته، وقد رويت هذه القصة في كتابي (محمد بن عبدالوهاب) المطبوع سنة ١٣٨١هـ][١].

ويقول الشيخ:

[الشيخ محمد حامد ـ رحمة الله عليه ـ صديق أحبه، وإن كنت أخالفه في بعض ما يذهب إليه، فهو صوفي وأنا مررت في حياتي بأدوار: قربت من الصوفية لأن مشايخي أكثرهم من أهلها، ولكني لم أقبلها كلها ولم أنخرط فيها. وصرت سلفيًا (أو كما يقولون عندنا في الشام «وهابيًا») **ولكني كنت أقف في أشياء هي عندهم من المسلَّمات وأراها من المشكلات**. وكنت حنفيًا ملتزمًا متعصبًا لمذهبي، لا أقبل ما يخالفه ولو كان حديثاً صحيحًا! وكنت قد أوتيت من صغري جدلاً، فكنت أقول إن مذهبي امتد اثني عشر قرنًا، وانتشر علماؤه بين مشرق الأرض ومغربها، فهل بلغهم هذا الحديث أم لم يبلغهم؟ وإن هو بلغهم فهل خالفوه متعمدين وهم من صفوة علماء المسلمين؟ أم أن لديهم دليلاً آخر يرجعون إليه ويعتمدون عليه؟

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٥٥ ـ ٥٦).

ولهذا نجد الشيخ لا يتورع عن قوله بأن ابن تيمية مشبِّه! لأنه قرر العقيدة في باب صفات الله كما فهمها السلف الصالح، فظنه الشيخ قد جاء ببدعة جديدة، فقال فيه ما قال دون وَرَع أو فهم صحيح.

يقول الشيخ تحت عنوان (أنا وابن تيمية):

[لقد نشأت في موجة (الحملة على الوهابية)، وكنت أنفر من سماع اسم ابن تيمية (وهو الأستاذ الأكبر لابن عبدالوهاب) ثم سافرت إلى مصر سنة ١٩٢٧ فكنت عندخالي الأستاذ محب الدين الخطيب، فأثر بي هو وجماعة المطبعة السلفية حتى صرت أتعصب لابن تيمية بمقدار ما كنت أتعصب عليه، ثم عرفت الأستاذ الكوثري، ولزمته حينًا في دمشق (وذلك سنة ١٩٣٠) فانقلبت على ابن تيمية مرة أخرى، ثم صحبت الأستاذ الشيخ بهجة فعدت إليه، ثم ذهب ذلك كله مع الشباب الذاهب وفترت عصبيتي له، وعصبيتي عليه، وغدوت أنظر في ترجمته بأعصاب هادئة، وفكر حيادي، فأرى ما له وما عليه، **فما أراه عليه: ميله إلى التشبيه في آيات الصفات، عفوًا، بل التشبيه الذي يُفهم من عباراته وإن لم أجزم بأنه كان مشبهًا أو أراد التشبيه**، ومما أراه عليه: أنه يُشغل الناس أحيانًا بأمور لا تستحق هذا الاهتمام كله، كمسألة الزيارة، وأنا أقرأ حديث «**لا تُشد الرحال. . .**» فلا أفهم منه المنع من السفر للزيارة، إنما أفهم منه المنع من الرحلة للصلاة فقط في غير هذه المساجد، لأن لها وحدها ميزة، وباقي المساجد سواء، ولا يفهم

هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[1].

وقد أشبع العلماء هذه المسألة، وبيَّنوا الحق فيها[2]، وقرروا أن زيارة القبور مشروعة للأدلة الصحيحة الواردة في الحث عليها، ولكن الممنوع هو شد الرحل إليها، للحديث السابق. ولأحاديث أخرى وآثار صحيحة عن الصحابة تؤكد هذا المنع.

ومَنْ قَصَدَ السفر إلى المدينة النبوية فعليه ـ كما قال شيخ الإسلام ـ [أن يقصد السفر إلى المسجد والصلاة فيه][3] لا أن يقصد زيارة قبره ﷺ، للنهي عن ذلك كما سبق، فإذا وصل المدينة فلا حرج عليه أن يأتي قبره ﷺ ويُسلِّم عليه السلام الشرعي دون بدع أو منكرات، وهذا خاص بالرجال دون النساء، فإنهن ممنوعات من زيارة القبور، ومن ضمنها قبره ﷺ.

وأما قياس الشيخ زيارة قبره ﷺ على جواز السفر وشد الرحل للتجارة أو طلب العلم أو زيارة الإخوان والأقارب، فهو قياس مع الفارق، لأن هذه الأمور مباحة، وقد أمر الشرع بها وحث عليها، بخلاف زيارة القبور أو غيرها مما قد يقصد به

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧٢) ومسلم (٤١٥).

(٢) وليس هذا مقام بسطها، فمن أراد الزيادة ومعرفة الحق فيها بتفصيلاته، فعليه بكتاب «الرد على الأخنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الجواب الباهر» له أيضًا، وكذا كتاب «الصارم المنكي» لابن عبدالهادي ، فهي المرجع في هذه المسألة.

(٣) الرد على الأخنائي، ص١٨.

وقد خصَّص الشيخ كتابين من كتبه لدراسة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أثنى عليه فيها في مواضع، وانتقده في مواضع أخرى! فلنستمع إلى انتقاداته:

يقول الشيخ عن رسالته:

[سيرى القاريء، بعد أن يقرأ في هذه الرسالة سيرة محمد بن عبدالوهاب ويعرف ما دعا إليه، أن الرجل لم يأتِ ببدعة ولا أحدث في الإسلام حدثًا، ولم يدع إلاَّ إلى التوحيد الصحيح وإلى الإسلام الحق، فالدعوة ذاتها لا غبار عليها، وليس فيها ما يُعاب، **إنما يعاب الأسلوب الذي اتبعه فيها**، ذلك أنه رأى ما يصنع بعض الناس عند القبور من مظاهر الشرك، فاعتبرهم مشركين، ثم عمم الحكم على كل بلد فيه هذه القِباب، وهذه القبور، أي أنه حكم بردة المسلمين جميعًا، واستحلال دمائهم وأموالهم، بل لقد استحل ذلك فعلاً. ومن قرأ ما كتب في ترجمته، ولاسيما كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) لابن بشر وهو المنبع الذي أخذ منه كل من كتب في ترجمة الشيخ، من قرأ هذا الكتاب وجد في كل صفحة منه أنهم يشبهون هذه الدعوة بالإسلام أول ما ظهر، وصاحبها بالرسول، وجماعته بالمسلمين، ومن عداهم بالمشركين الأولين، ويستعملون ألفاظ السيرة ذاتها: الهجرة والمهاجرين، والأنصار، والغزوة، والسرية وأمثالها.

مع أن الشيخ كان يقول دائمًا أنه حنبلي، والحكم في المذهب الحنبلي أن المسلم إذا ارتد يستتاب، ويعرض عليه

تفعلـون كـذا. فـإنَّـا لـم نكفِّـر المسلميـن، بـل مـا كفـرنـا إلاَّ المشركين][1].

ويبعث رسالة لمحمد بن عيد أحد مطاوعة ثرمداء، يقول فيها:

[وأما ما ذكره الأعداء عني أني أكفر بالظن، وبالموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله][2].

وفي رسالته لأهل القصيم، يشير ـ رحمه الله ـ إلى مفتريات الخصم العنيد ابن سحيم، ويبرىء نفسه من فرية تكفير المسلمين وقتلهم، يقول الشيخ الإمام:

[والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أمورًا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله: أني أقول أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وأني أكفر من توسل بالصالحين، وأني أكفر البوصيري، واني أكفر من حلف بغير الله.. جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم][3].

ويؤكد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بطلان تلك الفرية، ويدحضها فيقول ـ في رسالته لحمد التويجري ـ:

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ١٨٩).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٥).
(٣) المصدر السابق (٥/ ١١ ـ ١٢).

رسـولـه، وأن دعـوة غيـر الله بـاطلـة ثـم بعـد هـذا يكفـر أهـل التوحيد][1].

ويكتب الشيخ الإمام إلى إسماعيل الجراعي صاحب اليمن تكذيبًا لهذه الفرية، قال الشيخ:

[وأما القول بأنَّا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم][2].

ولما أرسل أحد علماء العراق وهو الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السويدي كتابًا للشيخ الإمام يسأله عما يقوله الناس فيه... من تكفير الناس إلا من تبعه...، فأجابه الشيخ بجواب ذكر فيه كيد الأعداء ثم أعقبه برد فرية الخصوم:

[وأجلبوا علينا بخيل الشيطان، ورَجله، منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه، فضلاً عن أن يفتريه، ومنها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من تبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل، هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون..][3].

قلت: هذه بعض أقوال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب لدفع هذه الفرية التي أطلقها خصومه في زمنه، وصدقها بعض

---

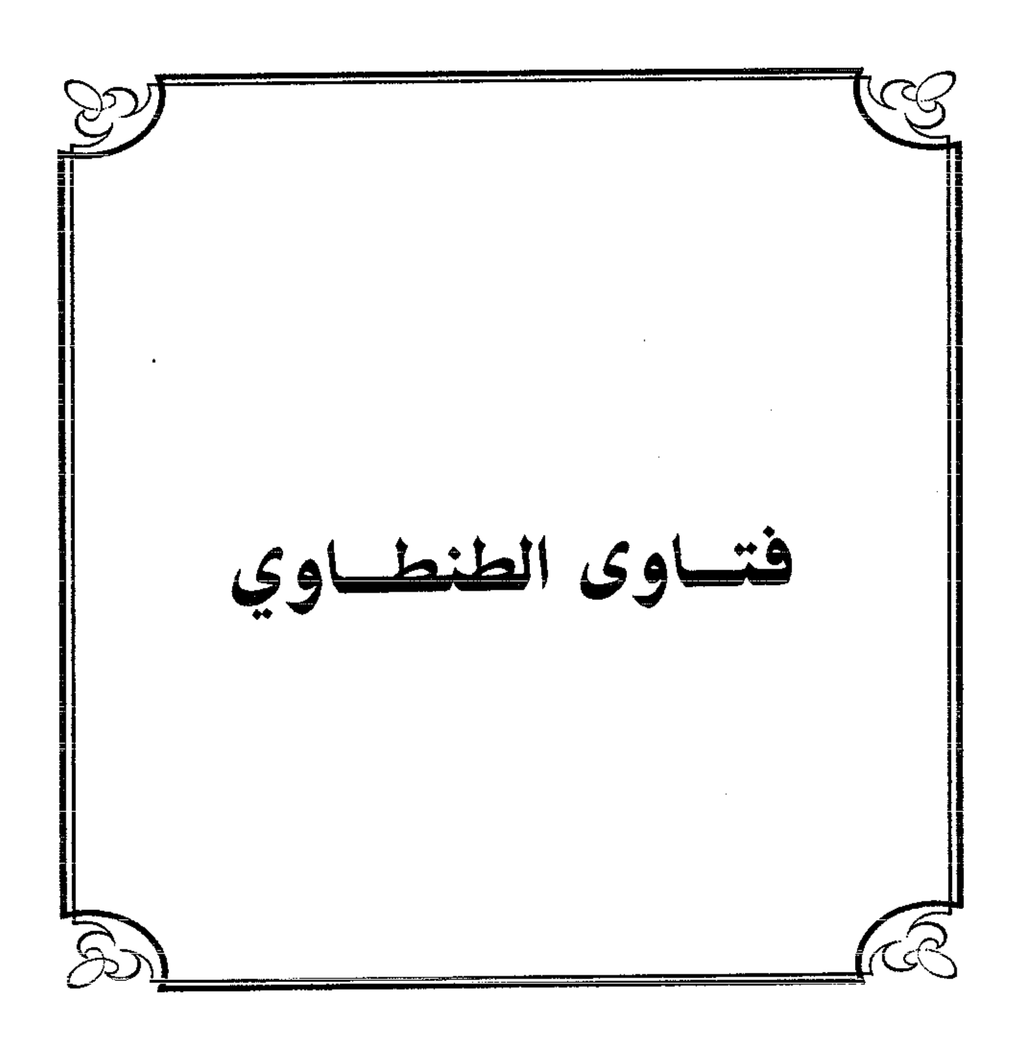
(١) المصدر السابق (٥/ ٤٨).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٠٠).
(٣) المصدر السابق (٥/ ٢٦).

فما أفلحت، وكنت كلما زار دمشق الشيخ أمجد الزهاوي مع الشيخ محمد محمود الصواف جمعت لهم بطلب منهم كل العاملين للإسلام من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية **لأن صلتي بحمد الله بهم جميعًا صلة طيبة، أمشي معهم من مراحل الطريق ما يوافق طريقي، ثم أسلك طريقي وأدعهم يسلكون طريقهم**، ثم إنني لا أُنازع شيخًا على مشيخته، ولا رئيسًا على رياسته، ولو عرضت عليَّ لرفضتها وامتنعت عن قبولها، بل لقد عرضت فعلاً وصنعت هذا الذي قلت][1].

قلت: بهذا يتبين أن الشيخ لم يقبل السلفية بجميع معانيها، وإنما اكتفى منها بما يوافق طريقه، ورفض منها ما يخالف طريقه، وقد علمنا سابقًا ما قُبِلَ وما رُفِضَ، وهذا دليل عدم اقتناعه (الاقتناع الكامل) بمذهب السلف، فلذلك بقي حيران.

---

(١) ذكريات الطنطاوي (٧/ ١٥٥).



فتـــاوى الطنطـــاوي

فتــاوى الطنطــاوي

تميَّز الشيخ عند كثير من الناس بتساهله في الفتوى، ومبالغته في الأخذ بالتيسير على المسلمين حتى يخرج بهم إلى شيء من المكروهات أو المحرَّمات! ولعلَّ نشأته التي اتصفت بالتساهل في مظهره وفي قراءته قد أدته إلى هذا آخر عمره.

والواجب على المسلم أن يدور مع الكتاب والسنة أينما دارا، لا أن يُديرهما وفق نشأته، أو بيئته، أو طبيعته.

وقد علمنا ـ سابقًا ـ أن الشيخ يعترف بأنه أديب وليس مفتيًا، وأن كتب الأدب والشعر قد استحوذت على مقدار كبير من قراءته، فكان الأولى بالشيخ أن لا يتجشم الفتوى قبل أن يكون على أتم الاستعداد لها، لكي لا يقع في أخطاء تُنسب إليه ويضل بها جمهور كبير من الأمة، قال تعالى محذرًا من ذلك: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

وقد أحببت هنا عرض الفتاوى والآراء الفقهية الخاطئة التي تبناها الشيخ وقال بها مع تعقب ذلك باختصار، لأنها جميعًا مما اشتهر بين العامة والخاصة، فعلموا حكم الله وحكم رسوله ﷺ فيها، فمنهم من هدى الله، ومنهم من اتبع هواه فيها متعذرًا بقول

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

تارة، وأسماء أخرى ما أنزل الله بها من سلطان استبحنا ما حرَّم الله، وعممنا الاختلاط في المدارس والجامعات، بدأنا بذلك من رياض الأطفال، وقلنا صغار ما لهم عورة ولا يعرفون المعاني الجنسية، ونسينا أن الصغير يكبر، وأن ما غُرس في ذاكرته يبقى فيها.

نُقلِّد في ذلك غير المسلمين، ولقد قرأت في جرائد اليوم (الجمعة العاشر من رمضان) أن الانجليز وغيرهم من الأمم التي ندعوها أمم الحضارة، بدأت تعدل عن سنة إبليس في خلط البنين في المدارس بالبنات، وتعود إلى الفطرة التي فطر الله البشر عليها، فتجعل للذكور مدارس ما فيها إناث، ومدارس للإناث ما فيها ذكور، وقد سبقت إلى ذلك روسيا أم الشيوعية وبنت الصهيونية، ونحن لا نزال سائرين في غيِّنا، بل لقد بلغ منا التقليد أن أقمنا مدرسين شبانًا يدرسون البنات البالغات، ومدرسات شابات للطلاب البالغين. مما حمى الله هذه المملكة منه ومن أمثاله وأسأله أن يديم حمايتها منه وإبعادها عنه][1].

ويقول الشيخ:

[أما الممرضات فلا يجوز اختلاطهن بالرجال، والكشف على عوراتهم إلاَّ عند الضرورة أو الحاجة الشديدة التي لها هنا حكم الضرورة][2].

---

(١) ذكريات الطنطاوي (٨/ ٢٧٥).

(٢) رجال من التاريخ، ص٢٧٠.

٣ - ويرى الشيخ جواز الغناء وعدم حُرمته[(١)].

وهذا خطأ عظيم تتابع عليه بعض العلماء في هذا الزمان متأثرين بواقعهم الغارق في مختلف أنواع الغناء، فجرّؤا بفتاواهم تلك شباب الأمة على اقتحام هذه المعصية متذرعين بأقوالهم أمام من يُنكر عليهم.

والصواب في هذه المسألة حُرمة الغناء، وقد كتب فيها وبيّنها كثير من العلماء وطلاب العلم في رسائل عديدة.

ولو لم يكن في هذه المسألة إلا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه لكفى، وهو قوله ﷺ «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ**[(٢)] **والحرير والخمر والمعازف**».

قلت: وانظر لبيان ما ورد في هذه المسألة من أحاديث صحيحة، وأقوالٍ للسلف، رسالة الشيخ ناصر الدين الألباني «تحريم آلات الطرب».

٤ - ويرى الشيخ جواز إقامة أعياد الميلاد، وعيد الأم!! ويقول عن ذلك: [ما أرى فيه بأسًا][(٣)]!.

وهذا من الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها الشيخ، لأنه من المعلوم أنه: [قد دلّت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على أن

---

(١) فتاوى الطنطاوي، ص١٠٦.
(٢) الحِرَ أي الزنا.
(٣) فتاوى الطنطاوي، ص٣٠٨.

الكلام. وقال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» والأحاديث في هذا المعنى معلومة كثيرة. وفَّق الله الجميع لما يرضيه][1].

٥ ـ ويرى الشيخ أن جدة ميقات للحجاج[2].

وهذا مخالف للقول الصحيح المشهور بين العلماء.

قال الشيخ ابن باز ـ حفظه الله ـ في فتوى له حول هذا الموضوع:

[جدة ميقات لأهلها الساكنين فيها والمقيمين فيها، لقول النبي ﷺ لمَّا وقَّت المواقيت: «**هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة. ومن كان دون ذلك فمهلّه من حيث أنشأ حتى أهل مكة يهلون من مكة**»، ومعلوم أن جدة دون المواقيت فتكون داخلة في قوله ﷺ: «**ومن كان دون ذلك فمهله من حيث أنشأ**»، وليس للوافدين خارج المواقيت أن يتجاوزوها إلى جدة أو غيرها، بل عليهم أن يحرِموا منها[3] إن مرّوا عليها أو مما يحاذيها جوًّا أو برًّا لعموم الحديث المذكور إذا كانوا أرادوا الحج أو العمرة. والله ولي التوفيق][4].

٦ ـ ويرى الشيخ أن النمص بالنسبة للنساء مكروه وليس بمحرَّم،

---

(١) الفتاوى للشيخ ابن باز (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) إصدار مجلة الدعوة.
(٢) فتاوى الطنطاوي، ص٢٤١.
(٣) أي من المواقيت.
(٤) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٥/ ١/ ٧٤) دار الوطن.

الإنسان إذا استحسن شيئًا مخالفًا للشرع أن يتهم عقله ورأيه][(١)].

قلت: هذه أبرز الفتاوى التي خالف فيها الشيخ القول الصحيح في المسألة، متبنيًا الرأي الذي يراه هو الأسهل للمسلمين ولو خالف النص الصحيح أو إجماع العلماء، متأثرًا بضغط واقعه، وطبيعة بيئته ونشأته.

ولهذا.. فالشيخ ممن لا يُعتد بهم في الفتوى، لعدم أهليته لذلك ـ كما علمنا ـ ولكثرة أخطائه العلمية التي قرأنا بعضها. والله المستعان.

❋ ❋ ❋

(١) فتاوى ابن عثيمين (١/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) إعداد أشرف عبدالمقصود.

الفهـــرس

* * *